Jableh in ancient historical times
Gabala. Γάβαλα
From the third millennium BC to the fourth century AD
(historically and archaeologically)

Dr. Eva Alkhatib*

(Received 13 / 10 / 2025. Accepted 11 / 1 / 2026)

□ ABSTRACT □

Syria, particularly the Syrian coast, has been subjected to invasions and control by major empires, settling their disputes throughout various historical periods, starting from the Bronze and Iron Ages. Notable powers include the ancient and modern Assyrian empires, the Pharaohs of Egypt, and later the Seleucid and Roman kingdoms, followed by the Byzantine Empire until the arrival of Arab Muslims to the Syrian coast.

The strategic location of Jableh, with its fertile plains and active port, along with its control over ancient overland, river, and maritime trade routes, was a primary reason for attracting the attention of these mentioned powers. This led to Jableh and the Syrian coast being under their control, to the extent that Jableh was often dependent on and influenced by neighboring coastal cities such as Arwad and Laodicea. This dependency was interspersed with periods of independence, and which had the greatest impact on the development of the city and its prosperity in the economic, religious, and social fields throughout ancient historical periods. This historical knowledge of the city will be based on classical Greek and Roman literary sources, foreign references, and the reports of archaeological missions working in the Jableh plain. In addition to material sources from the archaeological hill, foremost among them being coins, pottery tools, and the remains of archaeological structures that are widely spread throughout this small city.

Keywords: Jableh. Gabala. Syrian- Phoenician coast. Hellenistic period. Roman period.

Copyright **:**Latakia University journal (formerly tishreen) -Syria, The authors retain the copyright under a CC BY-NC-SA 04

* **Associate professor, Department of History, /Ancient History. (Roman History)/, Faculty of Arts & Humanities, Lattakia University (formerly tishreen) , Latakia, Syria.**

جبلة في العصور التاريخية القديمة

Gabala. Γάβαλα

من الألف الثالثة قبل الميلاد إلى القرن الرابع الميلادي، دراسة تاريخية وأثرية

د. إيڤا أحمد الخطيب*

(تاريخ الإيداع 13 / 10 / 2025. قبل للنشر في 11 / 1 / 2026)

□ ملخّص □

كانت سوريا عامةً والساحل السوري خاصةً عُرضةً لغزوات وسيطرة الامبراطوريات العظمى وتصفية نزاعاتها عبر الفترات التاريخية المُتعدّدة، ابتداءً من عصور البرونز وعصر الحديد، كالإمبراطورية الآشورية القديمة والحديثة وفراعنة مصر وثم المملكة السلوقية والرومانية ثمّ البيزنطية حتى دخول العرب المسلمين إلى الساحل السوري. وكان موقع جبلة المهم على الساحل السوري بسهلها الخصب وميناءها النشط، بالإضافة إلى تحكّمها بطرق التجارة القديمة البرية والنهرية والبحرية، سبباً رئيساً لجذب أنظار القوى التي ذُكِرت سابقاً، وجعل جبلة والساحل السوري تحت سيطرتهم، حتى أنّ جبلة كانت تابعةً وتحت سيطرة المدن الساحلية المجاورة لها (أرادوس ولاواديكيا)، هذه التبعيّة تخلّلتها فترات استقلالٍ لها، والتي كان لها التأثير الأكبر على تطور هذه المدينة وازدهارها في المجالات الاقتصادية والدينية الاجتماعية طوال العصور التاريخية القديمة. هذه المعلومات التاريخية لهذه المدينة، التي سيكون أساسها مُستمدّاً من المصادر الأدبية الكلاسيكية اليونانية والرومانية، والمراجع الأجنبية وتقارير البعثات الأثرية العاملة في سهل جبلة، بالإضافة إلى المصادر المادية من اللُّقى الأثرية العديدة المُكتشفة في تلال جبلة الأثرية وفي مُقدِّمتها النقود والأدوات الفخارية وبقايا المُنشآت الأثرية المُنتشرة بشكلٍ كبير في هذه المدينة الصغيرة.

الكلمات المفتاحية: جبلة، جابالا، الساحل السوري الفينيقي، الفترة الهلنستية، الفترة الرومانية.

حقوق النشر : مجلة جامعة اللاذقية (تشرين سابقاً)- سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY-NC-SA 04

*أستاذة مساعدة – قسم التاريخ /تاريخ قديم- (تاريخ الرومان)- كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة اللاذقية (تشرين سابقاً)- سوريا.

أهمية الدراسة وأهدافها.

يهدف البحث إلى التعريف بجبلة، جيبالا (جابالا)، المدينة الصغيرة الغنية، وذلك من خلال دراسة المصادر الأدبية الكلاسيكية والعملات والنقوش والمُكتشفات الأثرية المتنوعة والعديدة، وذلك لإعادة تكوين وبناء تاريخ جبلة القديمة خلال العصور القديمة. أمّا أهمية هذا البحث ونظراً لعدم وقوع أحداثٍ سياسية رئيسة في جبلة أو بالقرب منها خلال العصور الهلنستية والرومانية والبيزنطية، لم يُعِر المؤرخون الكلاسيكيون أيَّ اهتمامٍ كبير في كتبهم عن التاريخ السياسي لجبلة، وأتى ذكرها على شكل إشارات قليلة ومتفرّقة في العديد من الأعمال الأدبية الكلاسيكية والعملات المعدنيّة التي سُكّت في جبلة، هذه الإشارات ستكون أساس هذا البحث من أجل الوصول إلى هدف المقالة المنشود. بالإضافة إلى أهميةٍ أخرى وهي الإجابة عن سؤالٍ مهم وهو: –هل من الممكن أن يكون سهل جبلة منطقة حدودية فعلاً أو حداً فاصلاً اعتماداً على المصادر الأدبية والأثرية كالنقود والنقوش والألواح المكتشفة؟

منهجية البحث.

يعتمد هذا البحث على المنهج التاريخي بشقيه الوصفي والتحليلي.

الدراسة المرجعية.

جبلة رغم أهميّتها لم تحظَ بدراساتٍ عربية مُتخصّصة، فجاءت المعلومات عنها عامة وغير مُتخصّصة وبسيطة وغير كافية ونادرة جداً. ولا تُغطِّ الأهمية الخاصة لهذه المدينة.

اعتمد البحث على عددٍ من المصادر الكلاسيكية رغم قلّة المعلومات الواردة فيها، إلّا أنها كانت ركيزةً وأساساً للبحث: الجغرافي والمؤرخ سترابون Strabon وكتابه "جغرافية سترابون" قام بذكر وتعداد مدن الساحل السوري، ومن ضمنها جاء ذكر جابالا. أمّا بلينيوس الأكبر Pliny The Elder وكتابه الموسوعي "التاريخ الطبيعي" قام أيضاً بذكر الساحل السوري ومن ضمنها جابالا، كما تحدّث عن نبتةٍ تُدعى Styrax "العبهر" كانت تنمو في جابالا. وفلافيوس جوزيفوس Flavius Josephus وكتابه "اليهودية القديمة" والذي عدّد فيه مدن سوريا التي كانت تابعة لليهود ومن ضمنها جاء ذكر مدينة جابالا. أمّا المؤرخ باوسينياس Pausanias وكتابه "وصف اليونان" فقد تحدّث عن مزارٍ مُقدّس للآلهة دوتو Doto موجود بقاياه في جابالا. ويوحنا مالالاس Malalas في كتابه "كرونولوجيا" الذي تحدّث عن أسقف جابالا الشهير سيفيريان من جابالا، وعن الزلزال الرهيب الذي ضرب المدينة...

أمّا بالنسبة لأهم المراجع التي اعتمدها البحث: هنري سيريغ Henry Seyrig ومقالته عن النقود الهلنستية، وقام بشرحٍ وعرضٍ تفصيلي عن أهم النقود المُكتشفة في الساحل السوري وخاصةً جابالا. أمّا جرينغر Grainger وكتابه فينيقيا الهلنستية، هذا الكتاب القيّم الذي كان عماد البحث لتاريخ جابالا والساحل السوري السياسي في الفترة الهلنستية. ري كوكايس Rey Coquais مجموعة النقوش الإغريقية واللاتينية في سوريا. بالإضافة إلى نتائج أبحاث البعثة الأثرية البلجيكية العاملة في سهل جبلة (تل تويني).

أولاً: تسميات جبلة.

جبلة Jableh حالياً، جيبالا Gi– ba– la ، جب لي Gb–ly ، جبعلا جبعليوم Gibellum في النصوص الأوجاريتية "جب إيل" وتعني البئر العميقة أو الجب العالي، إيل هو الإله بعل أو صوت الإله بعل "بسبب كثرة الصواعق"، ومن المُعتقد أيضاً أن يكون الاسم مُرتبطاً بانخفاض المياه الجوفية في المنطقة وعمق آبارها.

في الفترتين الهلنستية والرومانية تغير الاسم إلى جابالا Gabala لغياب حرف العين في اللغتين اليونانية واللاتينية [37. p.328]. وكانت تُدعى زيبيل Zebel في الفترة البيزنطية، (حيث حدّدت آنّا كومنينا Anna Komnena زيبيل على أنها مدينة جابالا الساحلية حسب النطق المحلي) [33, p.484].

ثانياً: جبلة كما وردت في المصادر الأدبية الكلاسيكية.

جابالا كما وردت عند **فلافيوس جوزيفوس Flavius Josephus**:"في ذلك الوقت كان اليهود يسيطرون على المدن التي كانت تابعة للسوريين والأدوميين والفينيقيين: على شاطئ البحر برج ستراتوس Stratos وأبولونيا ، يافا وجمحيس وأشدود وغزة وأنثيدون ورافيا ورينكولور وفي وسط البلاد بالقرب من أدوم* [1] .. وبالقرب من السامرة وجبل الكرمل وجبل تابور Tabor وسيكثوبوليس Scythopolis*[2] وجادارا Gadara*[3]. من بلاد غاولونتيس سلوقية Seleucia وجابالا Gabala ... [22. 13. 15. 14.395].

أمّا عند الجغرافي **سترابون Strabo**:"بالقرب من لاواديكيا تُوجد المدن الصغيرة. بوسيديوم Poseidium وهيراكليون Heracleium وجابالا Gabala، ثمّ يتبع ذلك المسار البحري الآرادي حيث توجد بالتوس Paltos ... " [36. 16.2.12]

ووردت عند **بلينيوس الأكبر Pliny the Elder** أيضاً أكثر من مرة:" تنتهي فينيقيا وتبدأ سوريا من جديد مدن كارني Carne وبالانيا Balanea وبالتوس ومن ثمّ جابالا ثمّ الرأس الذي تقع عليه فينيقيا الحرّة". [28. 5.18.1] كما تكلّم أيضاً عن منتجات سوريا:" تُنتج سوريا الواقعة خلف فينيقيا، والأقرب إلى يهودا، Styrax أو العبهر أو الراتنج الطبي في القسم المُحيط بجابالا وماراثوس وجبل كاسيوس في سلوقية، حيث تتميّز هذه الشجرة باللّون نفسه". [28. 12– 37. 12.55.1]

باوسينياس Pausanias ذكر:" في جابالا يوجد مزار مُقدّس لدوتو Doto، حيث لا تزال بقايا هذا المعبد هناك... " [25. 2.1.8].

هيكاتيوس الملطي Hecatius of Malataea :"جابالا مدينةٌ تقع على ساحل سوريا".

ستيفانوس البيزنطي Stephanos of Byzantium كتب:" أنّ جابالا Gabala Γάβαλα مدينةٌ فينيقية". [35.G.191.9] كما ذكر في كتابه العاشر أيضاً:" كارنوس ثمّ بالتوس ثمّ مدينة جابالا .. ".

G191.19 Gabala: Γάβαλα, πόλις Φοινίκης, ἣν θηλυκῶς Ἑκαταῖός φησιν. ὁ δὲ Στράβων Συρίας, πλησίον Λαοδικείας. ὁ οἰκήτωρ Γαβαλίτης καὶ θηλυκὸν ἡ Γαβαλῖτις, ἀλλὰ καὶ Γαβαλεύς ὡς Μεγαρεύς. ἔστι καὶ χώρα Ἀραβίας καὶ λέγεται ἡ πρώτη συλλαβὴ διὰ τοῦ 'ε' Γέβαλα, καὶ τὸ ἐθνικὸν Γεβαληνός ὡς Δαυηνός Ἀδαρηνός, τῷ τύπῳ τῶν ἐγχωρίων.

يوحنا مالالاس Malalas تحدّث عن جابالا:"إلى أثينا وبيروتوس Berytos، حيث فصل الملك (يقصد ملك الفرس) مدن لاواديكيا وجابالا وبالتوس عن أنطاكيا في سوريا الأولى، وعن أفاميا في سوريا الثانية، وأخذ مدينة بالانيا وحوّلها إلى ولاية سمّاها ثيودورياس Theodorias".[448 .18–7.10–24.1] وأيضاً تحدّث عن الزلزال الذي ضربها:" جابالا التي عانت من غضبٍ إلهي في شهر جوربيايوس Gorrpiaios عند الفجر" [378 .24.15.4].

---

[1] - أبولونيا، يافا، أشدود ... *: أبولونيا هي مدينة يافا الحالية، وهي مدينة كنعانية الأصل ذُكِرت في حوليات الملك الآشوري تغلات فلاصر. وبقية المدن تقع في فلسطين الحالية.

[2]- سيكثوبوليس *: الاسم اليوناني القديم لمدينة بيت شآن الفلسطينية. وهي أيضاً من مدن الديكابوليس.

[3]- جادارا *: مدينة هلنستية قديمة، وكانت من إحدى المدن في حلف المدن العشرة (الديكابوليس). الأردن حالياً.

بطليموس Ptolemaeus ذكر في جغرافيّته:" 35 15 درجة هيراكليا. 30 68 درجة. 35 10 درجة لاواديكيا. 68 30. 35 05 درجة جابالا.. " وأيضاً": في فينيقيا جابالا 00 34 درجة" [19.5.15.21].

أمّا عمّا يُسمّى **مسار الامبراطور أنطونيوس*[4]. Anonymous Antonine Itinerary** :" .. لاواديكيا 24 ميلاً – جابالا 16 ميلاً – بالانيا 18 ميلاً–

أيضاً ما يُسمّى خريطة **بيوتنجر*[5] Anonymous Peutinger** :"روسوس 15، سلوقية (مدينة) (نهر) 12، أورانتيم Orontem 15، لاواديسيا (مدينة) 11، جابالا 8، بالتوس 8 ... " .[5].

خط سير رحلة بوردو (رحلة القدس)*[6] **Burdigala Itinerary** :"باكاياس 8 ميل، كايتلاس 16 ميل، لاديسيا 16 ميل، مدينة جابالا 14 ميل، مدينة بالانياس 13 ميل، حدود سوريا وفينيقيا.[4]

سالامينيو هيرمياس سوزومينو Salaminio Hermias Sozomenos *[7]:"كان حضور ثيوفيلس Theophilus ودعوة المجتمع إلى الانعقاد. تعاون سيفيريان أُسقف جابالا الذي لم يكن قد تغيّر من بعد استيائه السابق من يوحنا". [32.8.16]

فوتيوس Photius * بطريرك بيزنطي في القسطنطينية. :"الكنيسة لأسبابٍ مختلفة. كما تشاجر سيرابيون Serapion مع سيفيريان أُسقف جابالا الذي كان يحمل كراهيةً شديدة ودائمة ليوحنا". [27.96.10].

ثالثاً: الموقع الجغرافي لمدينة جبلة.

يُعرف السهل السوري الخصب، والذي يقع جنوب ميناء اللاذقية الحديث بسهل جبلة. وهي منطقةٌ لم تجرِ عليها دراساتٌ تاريخية وأثرية كثيرة. تقع هذه المنطقة عند مُفترق الطرق بين الشرق والغرب، وبين شمال بلاد ما بين النهرين شرقاً والبحر الأبيض المتوسط غرباً، وبين الأناضول شمالاً ومصر جنوباً الخريطة رقم (1). [14.p.11; 33.p.33] ولقد تميّز هذا السهل بموقعٍ استراتيجيٍ مهم بين المراكز الحضرية الشمالية والجنوبية لسوريا. فلقد بدأ الاستيطان في هذا السهل الساحلي الخصب منذ أواخر العصر البرونزي المبكر (3300 – 2000 ق.م)، وتركّزت مواقع الاستيطان الرئيسة في مواقع استراتيجية (مرتفعة) بجوار الأنهار المُتّصلة بالبحر من جهة، ومن السهل الزراعي من جهةٍ أُخرى، مع وجود المراكز المُتمدّنة في المُنتصف تقريباً. وبعد بدايات العصر الحديدي في حوالي القرنين السابع والسادس قبل الميلاد، بدأت المراكز الرئيسة بالانتقال إلى ساحل البحر، ربما بسبب تراكم الطمي في دلتا الأنهار ومصبّاتها نتيجة للتعرية الناجمة عن تغيّر المناخ. وعند البحث عن مرافق الموانئ الساحلية في العصرين البرونزي الوسيط (2000–1500 ق.م)، والمُتأخّر (1200 ق.م)، ينبغي الأخذ بالاعتبار أنّ الترسيب كان قد حجبَ بمُرور الزمن مُعظم الخلجان الطبيعية القديمة، ولا شكَّ أن هذه المراسِ الطبيعية المحمية بالنتوءات البحرية والتلال المغمورة بالمياه والجزر الصغيرة التي كانت تحمي هذه الموانئ. أما ساحل البحر فقد تميّز بساحلٍ صخري مُسنّن مع وجود نتوءات وخلجان ومصبّات أنهار [15.p.69; 18.p5–22].

---

[4] *- مسار الامبراطور أنطونينوس Anonymous: الذي هو سجلٌّ للمحطات والمسافات على طول الطرق المختلفة. ويبدو أنه يستند إلى وثائق رسمية، ربما جزئياً من مسح أُجري في عهد الامبراطور أوغسطس، وهو يصف طرق الإمبراطورية الرومانية، ونظراً لندرة السجلّات الأخرى الموجودة من هذا النوع فهو سجلٌّ تاريخي قيّم، ولا يُعرف أي شيء عن مؤلّفه أو ظروف تجميعه. https://www.britannica.com .

[5]*- خريطة بيوتنجر Anonymous Peutinger: وهي خريطة طرقٍ رومانية قديمة توضح شبكات الطرق في الإمبراطورية الرومانية.

[6]*- خط سير رحلة بوردو Burdigala Ltinerary: أقدم خط سير رحلة مسيحي معروف كتبه شخص يدعى حاج بوردو، وهو حاج مجهول الهوية من مدينة بوردو (فرنسا) في مقاطعة الغال.

[7]*- سالامينيو هيرمياس سوزومينو: مؤرخٌ كتب عن الكنيسة المسيحية من سنة (400- 447م).

في أواخر العصر البرونزي كانت أوجاريت مركز المنطقة، وهي مدينةٌ تطوّرت لتصبح مركزاً ذو أهمية دولية بفضل موقعها الاستراتيجي، حيث احتوت المحفوظات المُكتشفة في أوغاريت على وثائق تعود للعصر البرونزي، هذه المحفوظات كانت الوحيدة التي ذكرت مدينة جيبالا المُرتبطة بتل تويني الحالي، ووفقاً لهذه المصادر فإنّ جيبالا كانت الميناء الأقصى لأوجاريت بالقرب من حدود مملكة سيانو.

يقع تل تويني "جيبالا" خارج حدود جبلة الحديثة على بعد (15 كم) من البحر عند مُلتقى نهرين، أحدهما نهر الرميلة وهو الأكبر، الذي كان صالحاً للملاحة حتى أوائل القرن العشرين، حيث يتجهُ هذا النهر مُتدفّقاً من التل إلى خليجٍ رملي في الطرف الشمالي للمدينة الحديثة. ورغمَ عدم إجراء أي استكشاف منهجي للخليج حتى الآن، إلّا أنّه يُمكن للمرء أن يفترض أنّ الميناء القديم لجيبالا القديمة كان موجوداً هناك، حيثُ يتّخذ التل شكل فاكهة الكمثري تقريباً الشكل رقم (1) و(2). وفي هذا التل أيضاً وُجِد مصدرٌ للمياه العذبة في الطرف الشمالي الشرقي للتل "تبع الفوار"، هذا النبع لا يزال يُوفِّر كمياتٍ وفيرة من المياه لمدينة جبلة والحقول المحيطة بها [14.216–217].

جيبالا المُتمثّلة بتل تويني الحالي كانت على اتّصالٍ بمراكز العصر البرونزي الكبرى مثل: آلالاخ وقطنا وجمهد (حلب) وإيبلا. بالإضافة إلى مدنٍ مثل أوجاريت سيانو وكزل وكاميد اللوز وجبيل. وتُعدُّ حفريات رأس شمرا المصدر الرئيسي لفهم تاريخ المنطقة من الألفية الثانية قبل الميلاد (القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد). كما أظهرت التنقيبات الأثرية في تل تويني أنّ المكان كان مأهولاً منذ بداية الألفية الثانية قبل الميلاد، أي أنّهُ يُساهم مُساهمةً كبيرة في فهم التطورات السياسية والثقافية لغرب سوريا في فترات ما قبل وبعد أوجاريت.

هذا من جهة شمال جيبالا، أما من الجنوب فقد وُجِدت مملكة أرادوس Aradus التي امتدّت حدودها على طول الساحل وصولاً إلى جيبالا وما وراءها، وامتدّت سيطرتها حتى الداخل أيضاً على طول نهر إليوثيروس Eliotherus (النهر الكبير الجنوبي) وسيطرت على الممر الرئيسي ميريامي Mariamme وامتداد هذا النفوذ إلى قمة جبال بارجيليوس Bargelius المُطلّة على المنحدرات الساحلية ووادي إليوثيروس [16.p.1–2; 23.p.18]. جبال بارجيليوس كانت تحوي غابات ضخمة استّخدمت أخشابها لبناء السفن، ولم يتبق من هذه الغابات إلّا أعدادٌ من غابات البلوط المُقدّس [31.p.17]. ووراء هذه الجبال والمدن كانت مدينة جيبالا الساحلية التي اعتُبرت من ضمن ما سُمّي بيريا الآرادية Peria Aradus الذي ضمّ إضافةً إلى جيبالا مُدناً مثل: بالتوس Paltos وبالانيا Balania وفي الوسط كارني Carni وإينيدرا Enydra التي حلّت لاحقاً مكانها أنترادوس Antradus وإلى الجنوب ماراثوس Marathus وسيميرا وصولاً إلى نهر العاصي Orontes [34.p.30].

جيبالا الصغيرة كانت تبعد عن أرادوس مسافة (60 كم) على الساحل بميناءٍ فينيقي نصف دائري رائع [23.p.88] والواقعة على الساحل السوري قبالة قبرص، لم تقم بدورٍ تاريخي مهم، فسبب افتقارها إلى المزايا الطبيعية التي شكّلت بها أرادوس قوتها وثروتها، والميناء الذي بناه سلوقس في لاوديكيا القريبة جداً منها على مسافة (30 كم)، ولا بدّ أنّ أراضيها كانت تنتهي عند الحدود الطبيعية لنهر لاوديكيا (النهر الكبير الشمالي) أي عند أبواب المستعمرة اليونانية، كانت جيبالا على ما يبدو مدينة مُزدهرة وإن كانت عادية بين هاتين الجارتين القويتين، وربما كان ميناءها صغيراً نحتتهُ الطبيعة ومركزاً للمدينة، فقد كان موقعها مناسباً للاتصالات البرية، حيث لم يكن بعيداً عنها الطرق التجاري القديم الذي كان ينحدر من حلب إلى البحر عبر الجبال. كما أنّ طريق حمولات البضائع يؤدّي عبر الجبال أيضاً إلى حماة. لكن الميناء الصغير جداً والمكشوف غير المُحصّن جعل استغلال هذا الموقع مستحيلاً وحكم على المدينة أن تبقى محطّةً توقفٍ للسفن والقوافل التجارية. ولهذا السبب كانت جيبالا جزءاً مما يُسمّى بيريا الآرادية حتى دخول يوليوس قيصر

الساحل السوري في سنة(47 ق.م)، حيث وصفها سترابون Strabon كجزءٍ من بيريا ولم تعد تابعة لأرادوس. وهذا يُفسّر ذكر ستيفانوس البيزنطي Stephanus وهيكاتيوس الملطي Hecatius على أنها فينيقيا وسترابون سوريا.

كما يذكر أريان Arrian أنّ مملكة أرادوس كانت قد شملت سيغون Sigon والتي سيرتبط اسمها بقلعة صهيون (صلاح الدين)، ونسبَ جابالا ضمن السيطرة الآرادية [29-20-34.p.9].

رابعاً: جيبالا في عصور البرونز وعصر الحديد (3300- 1200 ق.م).

تتالت الإ مبراطوريات والشعوب في سيطرتها على سوريا عامة والساحل السوري موضوع مقالتنا (شرق المتوسط) أو ما يُسمّى غرب سوريا بشكلٍ خاص.

فخلال فترة البرونز المبكر (3200- 2000 ق.م) كانت الأدلة الكتابية نادرة للغاية في تلك الفترة. إذ تُشير النصوص الاقتصادية والإدارية من محفوظات إيبلا للمنطقة، لكنّها لا تُقدّم أية معلومات تّذكر عن الأحداث الاجتماعية والاقتصادية التي حدثت هناك. ويعود سبب هذه الثغرة جزئياً إلى مشاكل مُطابقة الأسماء الجغرافية الإبلائية القديمة مع تلال سهل جبلة الحديثة. ولحسن الحظ أمكن العثور على بعض المعلومات المُتعلّقة بالمنطقة في النصوص الأدبية للألفية الثالثة والنقوش الملكية في بلاد ما بين النهرين، حيث تكشف هذه النصوص الأهمية الاقتصادية لسهل جيبالا وسيطرته على التجارة البحرية على طول ساحل المتوسط، وسعي ملوك مصر وبلاد ما بين النهرين على السواء للحصول على الأخشاب، وأصبحت هذه الظاهرة أسطورية في أدب بلاد ما بين النهرين منذ الألفية الثالثة قبل الميلاد. وابتداءً من هذه الفترة شنّ ملوك ما بين النهرين العظام حملاتٍ مُنتظمة على الساحل السوري، حيث يفتخر سرجون الأكادي Sargon (2340- 2284 ق.م) بغزوه "الدول الغربية" في السنة الحادية عشر من حكمه، ويدّعي أنه عبر البحر ووصل إلى جزيرة قبرص [14.p11] .

أمّا في منتصف الألفية الثانية قبل الميلاد كانت هناك قوتان عالميتان نشطتان في سوريا، مصر الفرعونية في المنطقة الساحلية والامبراطورية الميتانية وثم الحثّية في بقية سوريا. ولم تكن هنالك حدودٌ واضحة المعالم بين هاتين القوتين اللتان ستتصارعان من أجل فرض السيطرة والنفوذ على الساحل السوري. ففي نهاية فترة حكم الهكسوس في مصر في القرن السادس عشر قبل الميلاد، اتّجهت الطموحات السياسية لفراعنة الأسرة الثامنة عشر نحو السيطرة على فلسطين وسوريا، وكانت مملكة ميتاني تقع آنذاك في شمال سوريا، وفي حوالي نهاية القرن الخامس عشر قبل الميلاد وتحت تأثير تهديد التوسع الحثّي، أجرت ميتاني مفاوضاتٍ مع مصر، وفي عهد تحوتمس الرابع (1401- 1391 ق.م) أبرمت الدولتان اتفاقيةً دبلوماسية بشأن الحدود بينهما أسفرت عن معاهدة سلام. وإلى الشمال الغربي ظلّت المنطقة تحت سيطرة النفوذ المصري الذي شمل مملكة أوجاريت وبالتالي جيبالا – وبقيت قطنا تابعة لنفوذ ميتاني – وقادش وعمورو تحت السيطرة المصرية، الشكل رقم (3).

أمّا في فترة تل العمارنة فقد بقيت مملكة أوجاريت وملكها نقمدو الثاني Niqmaddu II (1350- 1315 ق.م) مخلصين لمصر. حيث اكتّشفت خمسة رسائل من أوجاريت تعود لتلك الفترة في أرشيفات تل العمارنة.

وفيما بين سنتي(1365- 1340 ق.م) دمّر زلزال مصحوبٌ بفيضان مدينة أوجاريت والمدن القريبة منها بما فيها جيبالا، حيث أبلغ ملك صور Tyre أبي ميلكي Abimiliki أمنحوتب الرابع – أخناتون Amenophis IV بالكلمات التالية :"دُمِّرت أوجاريت مدينة الملك، بالنار، واشتعلت النيران في منتصف المدينة، ولم يعُد النصف الآخر موجوداً".

أمّا النصف الثاني من القرن الرابع عشر قبل الميلاد فقد اتّسم بتوسع الإمبراطورية الحثية. ففي فترة شابيليولوما الأول Sappiliuma I حوالي سنة (1330 ق.م) أدّت حملة عسكرية قادها ملك حاتي إلى خضوع ميتاني للحثيين، وبدورها

خضعت أوجاريت وعمورو وقادش والعديد من الممالك الصغيرة الأخرى لنفوذهم. ومن ثمّ دخلت مصر وحاتوشا (الحثيين) في صراعٍ مستمر للسيطرة على الساحل السوري، ونصّب الملك الحثي نائبه في كركميش، وأجبر الملوك السوريين المحليين على توقيع معاهدات تبعية للملك الحثي. وخلال هذه الفترة اعتمدت المملكة المصرية في تأمين حدودها على ولاء ملوك أمورو، الدولة الواقعة في أقصى جنوب المنطقة الحثية. وكثيراً ما غيّر ملوك أمورو ولاءهم وتفاوضوا مع مصر، ومع ذلك بقيت أوغاريت تابعة للحثيين [14.p.33 ;26.p.716].

أوجاريت كانت بلا شك عاصمة مملكةٍ مُكتظّة سكانياً، تمتد على طول السهل الساحلي الخصيب من جبل صافون المقدّس (الأقرع) في الشمال إلى جيبالا في الجنوب. في هذا السهل الساحلي وُجِدت العديد من الممالك الصغيرة شبه المستقلّة منذ فترة البرونز المبكّر (3200– 2000 ق.م). كتل تويني Twini الذي بقي مأهولاً بشكل شبه مستمر منذ حوالي (2600– 400 ق.م)، وتل سيانو Sianu وسوكسي Souksi (تل سوكاس حالياً) Sukas القريب من تل تويني بمسافة (6 كم) والمأهول بكثافة منذ فترة البرونز المتأخر، والذي كان يُسيطر على ميناءين، وباعتبارها مركزاً ثانوياً كان يبدو أنّ سوكسي / شوكسو كان تابعاً لمملكة سيانو. وكانت سيانو تقع على بعد (40 كم) جنوب أوجاريت والتي كانت مملكة شبه مستقلّة تحت السيطرة الأوجاريتية حتى استقلّت عنها في سنة (1300 ق.م) [37.p.696; 26.p.776; 14.p.217]. وتل تويني الذي يقع خارج حدود جبلة الحديثة، في منطقة جيبالا القديمة، حيث تُقدّر مساحة التل ب 12 هكتار، ويعود لفترة البرونز المُتأخّر، وأظهر هذا التل نظام تحصينٍ حجري مثيرٍ للإعجاب من العصر البرونزي الأوسط إلى المُتأخر، ومثل أوجاريت كانت جيبالا تقع على بعد كيلومترين من ميناءها الذي كان نشطاً خلال فتراتٍ زمنية مختلفة، ويقع هذا الميناء في الجهة الغربية من هذا التل بالقرب من تل المصيطبة بجانب ميناءٍ عالٍ، بالإضافة إلى العديد من القرى والتجمعات السكنية الصغيرة في السهل الساحلي وسفوح الجبال الساحلية [2.188–187].

وبالعودة إلى أوجاريت التي ظلّت تابعة للحثيين كما يتضّح من خلال ما جاء في نصوص الألواح المسمارية المختلفة التي تصف العلاقة بين الملك الأوجاريتي والملك العظيم سيد الحثيين – حيث ذُكِرت جيبالا لأول مرة في وثيقة أوجاريتية تعود للنصف الثاني من القرن الرابع عشر عندما كان نيقميبا Niqmepa ملك أوغاريت في اللوح الأكادي (P.R.U. 7.71–76) الذي احتوى على معاهدة بين الملك نيقميبا وعبدي كاناتي Abdi Canati ملك سيانو – شناتو Shnato، حيث ذُكِر في النص الأوجاريتي عن تبعية سيانو لها، الأمر الذي لم يُرضِ عبدي كاناتي، فناشد الملك الحثي ليُصبح تابعاً مُباشراً لنائبه ملك كركميش، مُتخلّياً بذلك عن الملك الأوجاريتي، وكان مورشيلي الثاني Murshili II بغاية السعادة لهذا الطلب الأمر الذي أسفر عن المعاهدة والتي تضمنت قائمتين من الأسماء الجغرافية : إحداها تُعطي أسماء جميع الأماكن التابعة للمملكة الأوجاريتية، والأخرى الأماكن الخاضعة لسيطرة سيانو. حيث احتوت القائمة الأوجاريتية على اسم "جي – بالا" "Gi– ba– la " ممّا يكشف أنّ المدينة كانت تابعة لمملكة أوجاريت قبل وبعد الانفصال بين أوغاريت وسيانو. جيبالا القريبة جداً من حدود مملكة سيانو.

وفي حوالي سنة (1200 ق.م) دُمِّرت مملكة أوجاريت نتيجةً لما يُسمّى "غزو شعوب البحر" وتُحذِّر رسائل أوجاريتية درامية من تلك الفترة الملك الأوجاريتي من الهجوم الوشيك للجيوش الغازية، حيث تصف رسائل أُخرى أرسلها ملك أوجاريت إلى زميله في ألشيه Alashyia (قبرص) Cyprus عن الكارثة التي حلت بأوجاريت. وهنا في تلك الفترة تتوقف المصادر المتعلقة بجيبالا فور تدمير أوجاريت. أما خاتمة ما بعد الكارثة التي تؤرخ لسقوط أوجاريت فهي رسالة

بيا المصري الشهيرة Beya التي كُتبت في سنوات (1194– 1186 ق.م) إلى أمورابي آخر ملوك أوجاريت. في تلك الفترة تحديداً تتميّز البقايا الأثرية في أوغاريت بطبقة ضخمة من الرماد والحطام المحروق.

كما أوضحت المُكتشفات الأثرية في تل سيانو والتي بدأت في عام (1990 م) من قبل البعثة الأثرية السورية للمديرية العامة للآثار والمتاحف عن بياناتٍ مهمة وآثارٍ للاستيطان في السهل الساحلي. وتل إيريس المجاور والذي يقع على بعد أقل من كيلومتر واحد عن سيانو بمساحةٍ لا تتجاوز 2 هكتار، والذي يعود تاريخه إلى العصر البرونزي أيضاً، ودمّرهُ حريق في نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد. وأيضاً المُكتشفات الأثرية في موقع تويني والتي تعود لسنة (1200 ق.م) أي في فترة دمار أوجاريت، وتمّ الكشف عن طبقاتٍ من الرماد ووجود رؤوس سهام برونزية والتي من المحتمل ارتباطها بحدوث قتالٍ عنيف فيها، وطبعاً من المُحتمل أنّ هذا الدمار الذي تركه شعوب البحر وراءهم كان قد أصاب المدن الصغيرة أيضاً قبل دمار أوجاريت بفترةٍ وجيزة. [3.p.194-195; 14.p.32-33; P.776-777 .26].

أما في بداية العصر الحديدي في سنة (1200 ق.م)، وبعد الدمار الكبير الذي حل بالساحل السوري، فرّ الكثير من السكان وغادروا المنطقة الساحلية، وفي فترةٍ لاحقة حدثت إعادة توطين للعديد من المواقع، وإعادةُ تنظيمٍ لمدنٍ وقرى، وأيضاً حدثت تغييراتٌ سياسية واجتماعية مهمة. ربما كانت بسبب التغييرات المناخية المفاجئة، حيث سُجِّل مناخٌ أكثر جفافاً في جيبالا وغرب سوريا عامةً. وفي ظل حكم الممالك الآرامية في سوريا في الألف الأول قبل الميلاد خضعت منطقة شرق البحر المتوسط لتأثيراتٍ سياسية واقتصادية جديدة، وأصبحت المدن الفينيقية صلة الوصل بين الشرق الأدنى وشرق المتوسط، وسيطرت على التجارة البحرية الدولية، هذه التجارة والثروات التي جذبت الملوك الآشوريين إلى المدن الفينيقية، وأُرسِلت الحملات العسكرية ضدّ المدن الغربية الساحلية، الأمر الذي أدّى إلى دمج هذه المدن والممالك في الإمبراطورية الآشورية الحديثة (911– 609 ق.م) هذه السيطرة أكدتها المكتشفات الأثرية في تل تويني كالمعابد والأختام الآشورية، كما اكتشف في تل سيانو بقايا حصن آشوري إضافةً إلى الأختام وبقايا الفخار وغيرها ... .

وخلال القرن الثامن قبل الميلاد بدأت سياسة توسعٍ جديدة غرباً بقيادة الإمبراطورية الآشورية، حيث أشارت السجلات العسكرية الآشورية إلى الحملات العسكرية لتغلات فلاصر الثالث (738 ق.م) وسرجون الثاني (720 ق.م)، ووقوع الساحل السوري تحت السيطرة الآشورية. وذُكِرت مدينة جيبالا القديمة نفسها في نقش لتغلات فلاصر الثالث (744– 727 ق.م)، وعلى أيّة حال رغم هذه السيطرة فقد تمتّعت المدن الفينيقية باستقلالٍ معين مقابل دفع جزيةٍ مالية كبيرة [14. P.43- 44]. الشكل رقم (4) و(5).

خامساً: جابالا في فترة الفرس الإخمينيين.

كانت قد سيطرت القوة الفينيقية الآرادية على قبرص وساحل البحر الأبيض المتوسط بأكمله من عسقلان إلى جابالا وربما إلى ميرياندروس. ..... هذه القوة كانت قد نشأت بفضل دعم الإمبراطورية الإخمينية للفينيقيين الذي كان لم يكن أمامهم خيارٌ حقيقي في هذا الأمر. إذ كان الوجود البحري في شرق المتوسط مطلوباً ومهماً. فمن ناحية كان الفينيقيون موالين بشكلٍ واضح للفرس منذ فترة درايوس الأول (521– 486 ق.م)، وكانوا قد اكتسبوا سيطرةً حقيقية على مياههم الداخلية، فالسلطة الفارسية كانت قد سمحت للقوة الفينيقية بالسيطرة على قبرص وكل الساحل الشمالي. ومن المُفروض أنّ الأمر نفسه كان ينطبق على السيطرة الأرودية شمالاً إلى جابالا وما وراءها، وهكذا كانت العلاقة بين الإمبراطورية الإخمينية والفينيقيين "عبارة عن تحالفٍ جزئي، وعلاقة سيدٍ وتابع" [23.p.20].

إذاً كانت المملكة الآرادية خلال الفترة الإخمينية قد تعاونت مع الملوك الإخمينيين ولا سيما في مجال الخدمات البحرية، وبشكلٍ خاص خلال حملة إكسركس على بلاد اليونان في بداية القرن الخامس قبل الميلاد "الحروب الفارسية"، حيث كان الملك الآرادي مهر بعل "Mahar Baal " أحد قادة الأسطول الفارسي في هذه الحملة. وعندما غزا الاسكندر المقدوني الإمبراطورية بعد (150 سنة)، شاركت السفن الآرادية بقيادة ملكهم جيروستراتس Gerostratos أو " Ger–cAŠtar " جرش– إشترت في عمليات الأسطول الفارسي في بحر إيجة. وبعد أن هزم الإسكندر المقدوني درايوس الثالث للمرة الثانية في معركة إسوس Issos سنة(333 ق.م)، جاء ابن الملك الآرادي ستراتون Straton للقاء الاسكندر في معسكره، ليعرض عليه تسليم آرادوس وجميع الأماكن والمدن التابعة له، ورغم عدم ذكر جابالا صراحةً إلّا أنها كانت أيضاً جزءاً من الأراضي التي سلّمها ستراتون، ومُنذ أن علِم الملك جيروستراتس بوصول الاسكندر لأرادوس، قام بترك الأسطول الفارسي وعرض سفنه على الاسكندر، ومن المؤكد أنّه ساعد الاسكندر بأسطوله في حصار صور، ويُعتقد أنّه استعاد السلطة من أرادوس [6.13.7.8.;16.p.6]. كما تسبب الوضع السياسي المتغير بسرعة بعد وفاة الاسكندر بحدوث تغييراتٍ سريعةٍ وحاسمة في كل سوريا، ولم تبق سوريا وشمال فينيقيا في أيدي السلالة السلوقية لفترةٍ طويلة إلّا بعد معركة إيسوس Ipsos سنة(301 ق.م).

سادساً: جابالا في الفترات الهلنستية والرومانية والبيزنطية.

إذاً حتى فترة الاسكندر المقدوني، كانت منطقة الساحل السوري الفينيقي تحت سيطرة ملك جزيرة أرادوس والبر الرئيسي، والذي كان تابعاً لسيطرة الملك الفارسي، وكانت قد امتدّت سيطرتهم من نهر إليثيروس جنوباً (النهر الكبير الجنوبي) إلى شمال جابالا وربما أبعد من ذلك. وبعد دخول المقدونيين إلى سوريا، عاشت أرادوس والمدن الست التي كانت تقع تحت سيطرتها ومن ضمنها جابالا التي سنتحدّث عنها بشكلٍ مُفصّل لاحقاً حالةً من الخضوع البسيط مثل المدن الفينيقية الأخرى. هذه الممالك التي كانت جزءاً من الإمبراطورية الجديدة التي غزاها الاسكندر وجيشه، مع حدوث تغييراتٍ مهمة على مختلف المستويات، فعلى المستوى السياسي كانت السلالات المحلية الحاكمة قد اختفت في غضون جيلين أو ثلاثة، واندمجت المدن الفينيقية بالكامل ضمن الامبراطوريتين السلوقية في سوريا والبطلمية في مصر [12. P.41; 34. P.21].

وبالعودة إلى المدن الست الصغيرة والتي كان لكلٍ منها قراها وبلداتها التابعة لها، والتي كانت أساساً تقع ضمن سيطرة أرادوس. المؤرخ سكيلاكس Scylax*[8] لم يذكر أيَّ مستوطنةٍ كانت تقع شمال أرادوس، لكنّه أشار إلى ما يُسميه بنهر ثابساكوس Thapsakos والذي هو من المفترض أن يكون نهر العاصي Orontes. حيث سيطرت أرادوس على ما يُدعى بيرايا Peraia في فترة الاسكندر المقدوني، بيرايا كانت عبارةً عن سلسلةٍ من المستوطنات والمدن الساحلية الصغيرة، والتي كانت تمتد بمسافة 80 كم إلى ما وراء جابالا. هذه البيرايا كانت تضم جابالا وإيندرا Endra وماراثوس Marathos وكارني Carni [23.p.9–12; 34.p.30].

عندما سيطر الاسكندر المقدوني على الساحل من جابالا إلى إليوثيروس وحتى الداخل إلى ميريمين وسيجون المجهولة، لم يكن واضحاً ما فعله الاسكندر هناك، لكن يبدو أنّ أرادوس كانت قد فقدت السيطرة على البر الرئيسي، حيث وُجد هناك داران لسك العملة في ماراثوس وكارني وجابالا، وهذا الأمر يُشير إلى سيطرةٍ مقدونية واضحة. كما تمّ

[8]*- سكيلاكس Scylax: مُستكشف ومؤرخ يوناني عاش في أواخر القرن السادس إلى أوائل القرن الخامس قبل الميلاد في الإمبراطورية الإخمينية، فُقِدت كتاباته رغم استشهاد المؤرخون اليونان والرومان لاحقاً به". https://www.britannica.com

تأسيس مستعمرة مقدونية في ماراثوس، ووُجِد الدرع (الرمز المقدوني) على العملات التي سُكّت في ماراثوس التي أصبحت أيضاً من الموانئ الرئيسة في شمال سوريا، وكانت نقطة عبورٍ مهمة للقوات المقدونية – اليونانية بين الشرق والغرب، كما يُفسّر وجود دار سك نقود في كارني لتوفير النقود ودفع رواتب الجنود والإمدادات التي كان قد احتاجها الاسكندر في حملاته. وهكذا فإنّ أهمية موانئ بيرايا واستحالة سماح الاسكندر لأي سلطة سياسية سواه أن تكون على ساحل المتوسط الشرقي، كلها تُشير إلى أنّ أرادوس كانت قد فقدت السيطرة على بيرياتها عند وصوله إليها [23.p.54].

سنلاحظ من خلال السرد التاريخي التالي أنّ علاقة الملوك السلوقيين بالآراديين كانت علاقة تحالف وصداقة تخلّلتها بعض التوترات، حيث روى سترابون عنهم: "أنهم أطاعوا الملوك السلوقيين كأصدقاء" [36.16.2.11].

فبالنسبة لسلوقس الأول الذي ورث امبراطورية الإسكندر وبدأ بتأسيس المدن الهلنستية في سنة 300 ق.م، وأنشأ أيضاً دوراً لسك العملة، ومنح المدن الحكم الذاتي بنفس شروط أرادوس، ممّا يعني أنّه كان هنالك دعمٌ محلي لخطوة سلوقس، وفي المقابل من الممكن أن نستنتج أنّ الآراديين كانوا قد أصبحوا مكروهين من قبل مدن الساحل السوري، وهذا الأمر ليس مستبعداً. فالحكم الذاتي لأرادوس وسيطرتها على المدن الست كان قد ولّد الغطرسة والجشع لديها، ولاحقاً حدث صراعٌ فيما بين أرادوس وعددٌ من المدن التابعة لها، قام الملوك السلوقيون بتأجيجه بعناية لضمان سيطرتهم [23.p.54–55]. لكن في النهاية فشل الملوك السلوقيون وأثبتت أرادوس أنها الأقوى، لأنّ عدم الاستقرار والفوضى والحروب كانت حالة مملكة السلوقيين، الأمر الذي أدّى وأقنع ملوكها في النهاية إلى أنّ حل المشاكل الداخلية هو في التهرب منها.

نُلاحظ لاحقاً في فترة أنطيوخوس الثالث الكبير Antiochus III (281– 261 ق.م) الذي كان قد قاد جيشاً في بداية الحروب السورية بينه وبين البطالمة، أنّه انطلق من أفاميا إلى وادي البقاع لمهاجمة القوات البطلمية، واختياره هذا الطريق بدلاً من أن يسلك الطريق الساحلي الفينيقي ما هو إلّا دليلٌ واضحٌ على ضعف سلطته هناك، بسبب سيطرة الأسطول البطلمي على البحر بعد تدميره الأسطول السلوقي في أربعينيات القرن الثالث قبل الميلاد، وكان دمار الأسطول السلوقي كبيراً جداً لدرجة أنّه كان من الصعب فيها أن يُعاد بنائه. ولأنّ سلوقس الثاني Seleucus II (246– 226 ق.م) وسلوقس الثالث Seleucus III (226– 223 ق.م) لم يكونا يُسيطران إلّا على قسمٍ صغير من الساحل السوري. وفي خِضمّ هذه الأحداث كلها كانت أرادوس وبيرياتها الستة، لا يزالون قوة بحرية محلية، لكنّ أنطيوخوس لم يستطع الاعتماد عليهم بسبب محاولة والده السابقة للتفريق وتأجيج الخلاف بين أرادوس وبقية مدن الساحل السوري. وبين سنتي (221– 218 ق.م) تجاهل أنطيوخوس الساحل السوري، حتى تمكنه في سنة (219 ق.م) من استعادة السيطرة على سلوقية بيريا وطرد البطالمة منها، وبعدها استطاع أن يستعيد السيطرة على الساحل السوري، وبدأ بإعادة بناء الأسطول السلوقي في مدينة لاوديكيا على البحر.

إذاً كانت مدن الساحل السوري تحت رحمة من يُسيطر عليها، وكانت تتمتّع بالحكم الذاتي فعلياً، وبالتالي من الممكن الافتراض أنّ مُصادرة الاسكندر لسيادة أرادوس على المدن الستة، أثارت الاستياء، وحفّزت على القيام بمحاولات لاستعادة السيطرة عليها حتى وصل سلوقس في سنة (301 ق.م) وبسيطرته الضعيفة على هذا القسم من المملكة، استفاد من قوة أرادوس وأعاد لها السيطرة على البيريات، واستمرّت دور سك العملة بالعمل، كدار سك ماراثوس وجابالا وغيرها [23.p.54–55; 16.p.6].

أمّا عن أوضاع الساحل بين سنتي(129– 46 ق.م)، فقد تعرّضت المنطقة لثورات اجتماعية وحالات من الاضطرابات في زمن ألكسندر بالاس Alexander Balas وبحلول سنة (145 ق.م) تفجّر الوضع بشكلٍ خطير، هذه الأزمة كانت ضحيّتها دمار ماراثوس وتقاسم أراضيها بين الآراديين وسيميرا وغيرها. ويعود سبب هذه الثورة الآرادية إلى ضعف الحكومة الملكية السلوقية خاصةً في سنوات (129– 128 ق.م)، بالإضافة إلى نشوء مشكلة جديدة في البحر وهي القراصنة التي قادت ضدّهم أرادوس مقاومة شرسة مُستخدمةً أسطولها حفاظاً على تجارتها البحرية. وفي سنة (128 ق.م) مُنِحت أرادوس استقلالها، ومن دون شك كانت ثورة أرادوس وسيطرتها كان له تأثيرٌ على المدن الأخرى في محيطها، وفكّرت أن تحذو حذوها وتكون نموذجاً تطمحُ إليه المدن الفينيقية. وتُرِك الجزء الشمالي من بيرايا أرادوس القديمة المتمركزة حول جابالا الآن. ومن الواضح أنّ هذا القرار كان قاسياً ومُتعمّداً من قبل الآراديين، ولسببٍ لا يسعُنا إلّا أن نُخمّنهُ أنّ الجزء الجنوبي ربما كان كافياً لمُتطلّبات أرادوس، وربما اعترضت جابالا بشدة على هذا الدمج، لدرجة أنّ أرادوس لم تُصر على الأمر، وربما تجاوزت جابالا، حيث قدّمت لاواديكيا على البحر اعتراضاتٍ على سلوك أرادوس، وأصرّت على بقاء جابالا كحاجزٍ يفصل بين المدينتين القويتين.

لكن ما من دلائل، فقط مجرّدُ تخمينات عن أوضاع جابالا المدينة الصغيرة بين أرادوس ولاواديكيا، ولم توجد معلومةٌ عنها لمدة أربعين عاماً حتى سنة (86 ق.م) عندما بدأت المدينة بإصدار عملاتها المعدنية الخاصة. واستمرّت هذه الإصدارات للعملة لفتراتٍ غير منتظمة لمدة ثلاثين عاماً أو أكثر، ومن المفروض أنّ هذه الإصدارات كانت لتلبية الحاجات المحلية للمدينة، وهذا دليل ازدهار ونشاط اقتصادي في المدينة، هذه الإصدارات بدأت في فترةٍ كان فيها الملوك السلوقيون قد بدأوا بالتلاشي وخسارة كنوزهم ومناطقهم ومصداقياتهم السياسية.

جابالا لم تكن مدينةً كبيرة بما يكفي حتى تستطيع أن تُعزّز استقلالها، وكانت غالباً ما يُطغى ويُسيطر عليها من قبل جيرانها "أرادوس ولاواديكيا". لذلك يبدو أنّ المدينة كانت قد حصلت على استقلالها بشكلٍ تلقائي بمُجرّد أنه لم يكن هنالك من يستطيع حكمها، هذا الاستقلال كان قد حصل ما بين ثورة أرادوس والإصدار الأول لعملة جابالا بين سنتي (129– 86 ق.م)، ولا يُمكن اعتبار هذا الإصدار إلّا دليلاً وتأكيداً على هذا الاستقلال [16. P.7-9; 23. P.134- 135; 34. P.20- 21] .

في نهاية الأمر تفكّك الحلف الآرادي في القرن الأول قبل الميلاد بشكلٍ تدريجي، وكانت جابالا أول من غادرها. حيث تشهد عملات جابالا في تلك الفترة على تسارع وتيرة التأثيرات الهلنستية مقارنةً بالمدن الأخرى، سواءً من خلال الرموز والتوقيعات اليونانية وأسلوبها. كتمثال الآلهة تايكي (آلهة الحظ) للمدينة والتي صُوِّرت على عملات جابالا وهي ترتدي حجاباً تحت التاج على عكس العملة الآرادية، وكانت تشبهُ تماماً عملات لاواديكيا. ولا بدّ أنّ القرب الكبير والمُباشر لهذه المدينة اليونانية الكبيرة والثرية، قد ساعد على تطور الهلنستية لدى جارتها الفينيقية جابالا. وذلك من خلال إعادة تخطيط وتنظيم المدينة على نظام المخطط الشبكي الهيبودامي وعلى غرار المدن اليونانية، وأعادت جابالا بناء وتنظيم نفسها خارج موطنها الفينيقي السابق بأسوارٍ ومسرح وحمام وغيرها.... [40–11.p.34].

وبعد أكثر من قرنٍ من الصمت دون أي معلومات عن جابالا، تُلقي العملات المعدنية التي تعود للقرن الأول قبل الميلاد بعض الضوء على الوضع مجدداً. كما تكشف سلسلةٌ ثانية من العملات المعدنية من النوع الآرادي، أي أنّ جابالا كانت لا تزال ضمن بيرايا الأرادية في النصف الأول من القرن الأول قبل الميلاد (هذه العملات تعود إلى سنوات 86/5 إلى 53/2 ق.م) وعلى نقيض العديد من المدن السورية الأخرى، يبدو أنّ تحول سوريا إلى ولايةٍ رومانية سنة (46 ق.م)، لم تُغيّر شيئاً في الظروف السياسية المحلية لأرادوس وجابالا. حيث سكّت أرادوس عملات دراخما رباعية،

وجابالا سكّت أيضاً عملاتٍ آرادية كونها كانت لا تزال جزءاً من بيريا الآرادية. – إلّا أن الوضع السياسي المحلّي تغيّر بعد انتهاء الحرب الأهلية الرومانية بين بومبيوس ويوليوس قيصر، ولأنّ أرادوس دعمت بومبيوس في حربه ضدّ يوليوس قيصر، فقد عاقبها بعد انتصاره على بومبيوس عندما كان في سوريا في سنة (47 ق.م)، وتوقفت عن سك العملات المعدنية الرباعية "الدراخما"، ورُقّيت جابالا التي بدأت ما سُمّي بعصر قيصر في عام(5/ 46 ق.م)، وربما كوفئت جابالا بنوعٍ من الاستقلال الذاتي من خلال منحها حق سك عملاتها الخاصة في سنتي (31– 30 ق.م). وعندما وصف سترابون مدن الساحل السوري بما في ذلك جابالا في جغرافيته، وذكر بعد لاواديكيا ثلاثة مدنٍ سورية (بوسيدون– هيراكليون– جابالا) مثل الأراضي الآرادية بما في ذلك بالتوس وبالانيا وكارني وإنهيدرا وماراثوس. ولأنّ جابالا لم تُدرج ضمن بيرايا الآرادية، يصف سترابون الوضع السياسي بعد دخول قيصر إلى سوريا.

ووفقاً لعملاتها، فقد استمرّ وضعُ جابالا المستقل حتى نهاية (القرن الثالث الميلادي) على الأقل، وبغضّ النظر عن حقيقة أنّ العملات تذكر "ΓΑΒΑΛΕΩΝ " أي "مواطنو جابالا"، مما يجعلنا نفترض وجود مؤسسةٍ ديمقراطية في المدينة، ولا يُعرف أي شيء عن المؤسسات والدوائر الرسمية في جابالا المستقلة. مع أنّ المدينة كانت بلا شك مجتمعاً صغيراً مُتكاملاً، إلّا أنّهُ ربما كان بها العديد من الدوائر الرسمية والمؤسسات الموجودة في المناطق الأكبر. – ويُمكننا مُقارنة جابالا بمدينة بالانيا المجاورة والمُماثلة لها، والتي كانت أيضاً جزءاً من بيرايا سابقاً، فبعد حوالي عشر سنوات من تحرير جابالا من سيطرة أرادوس، رغم بقاء عددٍ قليلٍ من النقوش في بالانيا، إلّا أنّها تُظهر مجموعةً كاملةً من المؤسسات والدوائر الرسمية التي تُضاهي تلك الموجودة في المدن الكبرى كأنطاكيا وغيرها، إلى جانب مجلس البولي boule والجمعية العامة demos ، كما كان لشعب بالانيا أيضاً ستراتيجوس Strategos وأغورانوموس agoranomos وديكابروتوس dekaprotos وأرخون archon [16.p.8–9; 34.p.11].

كما تحدّثت المصادر الأثرية أيضاً عن تجنيد السوريين في الفيالق الرومانية، في عام (69 م) وفي فترة الامبراطور تراجان Trajan حيث جُنّد السوريون وغيرهم وشاركوا في حروب تراجان الشرقية من خلال نقشٍ يعود لعام (117م)، عليه أسماء 43 فرداً من سوريا وفلسطين، 13 منهم من شمال سوريا (في الفيلق الثالث أوغستا)، (أفاميا– أنطاكيا– لاواديكيا– زوغما– بيرويا– لاريسا) وخمس عشر فرداً من المدن الفينيقية (أرادوس– صيدا– صور– طرابلس – جابالا) [29.p.117].

sNέρ(ουας) Καῖσ(αρ) Τραϊα(νὸς) Σεβ(αστὸς) Γερμ(ανικός)
Nerva Caesar Trajan Augustus Germanicus
Γαβαλέων
of the Gabaleans

أما مسرح جابالا فقد كان مكاناً ومركزاً للحياة الثقافية والاحتفالات الدينية والألعاب والمهرجانات في المدينة، وكان سبباً من أسباب التواصل الاجتماعي والثقافي، وهو مثالٌ نموذجي للعمارة الرومانية، وربما كان للمسرح أيضاً وظيفةٌ سياسية في جابالا: إذ كان المسرح مُلتقىً طبيعياً لعددٍ كبيرٍ من الناس، ولذلك استخدم بانتظام في العالم اليوناني والروماني لاجتماعات مجلس الشعب والتجمعات غير الرسمية [16. p.9; 21. p.203- 215; 12. p.50].

مسرح جابالا المحفوظ جيداً، والذي أُقيم في وسط المدينة خلال العصر الروماني، كان قد بُني على أرضٍ مستوية باتجاه من الشمال إلى الشمال الشرقي، ويبلغ قطر نصف الدائرة (90 م)، كما دُعّمت طبقاته الثلاثة بشكلٍ كامل بأقبيةٍ وسلسلةٍ من المداخل الخارجية تحت أروقة الواجهة وممرّان داخليان لضمان سهولة الحركة. كما يُشير المظهر

الجميل والأنيق لطبقات المقاعد ودقّة الزخرفة المنحوتة للواجهات والألوان المتعدّدة للرخام والغرانيت المستورد إلى التأثير الهلنستي لهذا المسرح. الشكل رقم (8). [9. p.415; 23. p.88; 21. p.214- 215; 34. p.9].

كانت قد تمّت دراسة المدرج الروماني القديم في عام 1959م من خلال البعثة الأثرية الدانماركية بقيادة بول رايس Paul Raiis وقامت بأبحاث طبوغرافية سمحت بوضع مخطط للمدينة الهلنستية والرومانية [9.p.415]. ولاحقاً ونتيجةً لصدفة وأثناء قيام أعمال البناء الحديثة، تمّ العثور على الحمام الهلنسيتي الروماني المُلاصق للمسرح الروماني الشكل رقم (10) و(11)، هذا الحمّام الذي كان قد خُصّص لحاميات الجنود الرومان الذين كانوا يخدمون في أماكن بعيدة عن بلدانهم، وذلك من أجل رفاهيّتهم، بالإضافة إلى ما سبق كانت الحمامات مثل المسرح مكاناً للّقاءات الاجتماعية والثقافية وممارسة الرياضة والاستجمام، بالإضافة إلى وجود قاعات للمطالعة فيها، كما وُجِد في مثل هذه الحمامات قاعات للتدليك والساونا والعلاج، وأماكن لبيع العطور والبلسم والزيوت العلاجية والمنتجات الأخرى العديدة... [;1.p.114–116]. يعود تاريخ هذا الحمام لفترة القرن الثاني قبل الميلاد، واستمرّ على حاله مع التطورات العديدة التي طرأت عليه لاحقاً في الفترات الهلنستية والرومانية والبيزنطية حتى القرن الخامس الميلادي، هذه التطورات طرأت على بنية الحمام وقنواته التي كانت في غاية في الدقة والتنظيم[8.p.307–310]. والعديد من المدافن الأثرية الجنائزية المُكتشفة في منطقة الجبيبات الغربية والتي تعود إلى الفترات الفينيقية والهلنستية والرومانية والبيزنطية الشكل رقم (9)، بالإضافة إلى الاكتشافات الأثرية الحالية بقيادة البعثة الأثرية البلجيكية العاملة في تل تويني والتي أسفرت عن اكتشاف أساسات مدرجٍ روماني ثانٍ خارج نطاق المدينة الحديثة الحالية.

***أمّا عن جبلة في الفترة البيزنطية،** فذُكِر أنّها كانت تُدعى زيبيل Zebel، وأمكن العثور على معلومات عنها في أواخر العصور القديمة في الأدب المسيحي. حيث يُقال أنّ القديس بطرس كان قد قضى ليلةً فيها. ووفقاً لثيودورتيوس القبرصي الذي قال أنّ جابالا مدينةٌ ساحرةٌ للغاية خلال العصور القديمة.

ولا يُعرف متى دخلت الديانة المسيحية إلى المدينة، لكن من المعروف أنّها أصبحت مقرّاً أُسقفيّاً، وكان سيڤيريانوس من جابالا Severianus من أشهر أساقفتها [33.p.484; 31.p.18–19] ، سيڤيريانوس تعاون مع ثيوفيلوس Theophilus في الدعوة إلى انعقاد المُجمّع الكنسي، بالإضافة إلى عداء سيڤيريانوس الشديد مع يوحنا الذهبي الفم... [32.8.16] . وفي عام (451 م) حضر أُسقف جبلة بوليكاريوس Policarius ومكاريوس Macarius أسقف اللاذقية مجمع خالكيدونية، الذي يُعتبر من أهم المجامع الكنسية، إذ نجمَ عنه انشقاق الكنائس الشرقية عن الكنيستين الرومانية والبيزنطية.

في أيلول من عام (475 م) ضرب زلزالٌ جابالا، حيث تحدّث مالالاس Malalas "جابالا التي عانت من غضبٍ إلهي في شهر جورييايوس Gorrpiaios عند الفجر" ودمّرها، فتبرّع الامبراطور باسيليسكوس Basiliscus(475–476 م) (بخمسين رطلاً من الذهب) لإعادة بنائها [24.14.5]. وفي عهد جستنيانوس Justinianus (527– 565 م) أُدمجت جابالا في مقاطعة ثيودورياس Theodorias الجديدة، والتي سُمّيت على اسم زوجة الامبراطور. وفي عام (638 م) دخل العرب المسلمون سوريا وبنى معاوية بن أبي سفيان حصناً جديداً خارج أسوار مدينة جبلة [33.p.484].

سابعاً: نقود جابالا وانعكاساتها على الأوضاع السياسية والاقتصادية والدينية في الفترات الهلنستية والرومانية.

تُعدُّ النقود من الأدلّة الأثرية التي تؤكّد وتُساعِد على معرفة نشاط المدينة وارتباطها بالأوضاع السياسية والاقتصادية والدينية. حيث اتّسم العصر الهلنستي بنشاطٍ نقدي كثيف، وشهدَ العصر تطوّراً في نشاط دور سك العملة وأنماطها من

عملاتٍ برونزية وفضية. كما وُجِدت العملات في أرادوس وبيرياتها خلال الفترة الفارسية حوالي (القرن الرابع قبل الميلاد). [20.p.64; 18.p.5].

1-من **الناحية السياسية:** ولمحاولة فهم السياق الذي صدرت فيه وتداولت فيه العملات في العصر الروماني، كان من الضروري أن نكون على درايةٍ بالنظام النقدي الذي ورثهُ الرومان من الملوك السلوقيين. وكيف كان الوضع السياسي والاقتصادي قبل سيطرة السلوقيين على منطقة الساحل السوري، حيث أسّس الاسكندر شكلاً من أشكال العملة المُشتركة في العالم الهلنستي، وهو نظامُ من العملات الذهبية والتترادراخما والدراخما الفضية، بالإضافة إلى الوزنات. فبعد دخول الاسكندر المقدوني الساحل السوري في سنة (333 ق.م)، اتّخذ خطوة غير مسبوقة أيضاً، وهي قيامه بتصويرٍ أيقوني على عملاته، حيث لم يضمن فقط اعتراف الأمم التي سيطر عليها "ضامناً النظام النقدي الرئيسي"، بل خلق شعوراً بالوحدة والتماسك. وخلال فترة حكم الاسكندر، توقف إنتاج العملات المدنية من دون قصد، ربما ليست بسبب سياسة متعمّدة بل كان الأمر كأثرٍ جانبي غير مقصود لتطبيق النظام المالي الملكي الجديد للعملات [38.p.59]، فقام بإنشاء دور لسكّ العملات في أرادوس سنة (332 ق.م)، حيث بدأت هذه الدار بسكّ عملاتٍ وفيرة باسم الإسكندر، ومن ثمّ باسم سلوقس الأول. وربما أُنشأ في كارني دارٌ لسكّ العملة (حيث أصدرت عملات نادرة جداً خلال فترة حياة الإسكندر). ودار سك غير مؤكدة في جابالا. بالإضافة إلى ماراثوس التي أُنشأ فيها دار لسك العملة في فترة فيليب الثالث(382- 336 ق.م) ومن ثم الإسكندر وسلوقس الأول [34.p.30].

أمّا بالنسبة إلى الوضع الداخلي على الساحل السوري في الفترة الهلنستية، والرابط الذي نظّم العلاقات بين هذه المدن، فإنّ النصوص كانت صامتة، لكن من الممكن الاستنتاج من خلال المعلومات التي وفّرتها النقود المُكتشفة، أنّه كان لكلِّ مدينةٍ إصداراتها النقدية الخاصة وبسيادةٍ كاملة. صحيح أنّه في بعض الأحيان كانت المُدن قد اعتمدت أحياناً أنواعاً مُشتركة، لكن الأمر لم يكن قاعدةً عامة. وكانت كلُّ مدينةٍ تُظهِر نفسها وفي أيِّ وقتٍ وبحرية وتعود إلى إصداراتها الخاصة، سواءً كانت دراخما أو عملاتٍ فضية أو برونزية، كما أنّ توقيعات دور السك لم تكن مُشتركة، [34.p.30].

في سنة (301 ق.م)، عندما أسّس سلوقس مملكته، كان الحق في سك النقود الذهبية والفضية امتيازاً ملكياً، وهو ما يُمكن أن يمنحهُ الملك للمدن الخاضعة له كامتيازٍ تقديراً لهيبة المدينة، وأيضاً من أجل دفع رواتب العسكريين الذين كانوا يُقيمون في أماكن بعيدةٍ عن موطنهم الأصلي. ومع تقسيم الأنظمة السياسية الجديدة في العالم اليوناني، وبدأت تنحسر الحاجة إلى هذه العملات المحمولة التي كان من الممكن التعامل بها من اليونان وحتى الهند، ولم تعد ضرورةً اقتصادية، وبدأت العملات المحلية بالظهور من جديد [38.p.60; 23.p.55]. واستمرّت دور السك المحلية بالعمل في عهده، كدار سك العملة المارثية وجابالا، والتي أصبحت الآن تسك باسم سلوقس، وستبقى هاتين الدارين تسكّان النقود حتى استعادت أرادوس السيطرة مرة أخرى على جميع البيريات ويبقى سك النقود حكراً لها. وكان لكل مدينة حرفها المميز، وسُكَّ بعضها في جابالا، لأنّ حرفها المُتقاطع يُظهر مزيجاً من الحرفين Γ و B وهما أول حرفين ساكنين من جابالا، لذلك لا شكّ أنّ جابالا كانت تابعة لبيرايا الآرادية في منتصف القرن الثالث قبل الميلاد، وكان قد سُمِح لها بسك عملاتٍ آرادية بفضل الاستقلال الذاتي الذي منحه الملك السلوقي لأرادوس. ولاحقاً في سنتي (230-229 ق.م) أصدرت ماراثوس وسيميرا عملاتها المعدنية الخاصة بها، وبعد خمس سنوات عادت جابالا وكارني وكل المدن الواقعة ضمن نفوذ بيريا الآرادية للسك مرةً أخرى، وكانت جميع العملات المسكوكة من الفضة والبرونز ومن معدن جيد ومؤرخ ومكتوب بالكتابة الفينيقية [23.p.91; 16.p.5-6].

كما كان من الممكن الحصول على تصريحٍ لسك العملات من دون صورة الملك، حيث استأنفت جابالا سك عملاتها بعد مئة عام من الصمت، وكانت مؤرخة لسنتي (187– 186 ق.م)، وهي تختلف عن أنواع أرادوس، لكنّ العصر وقانون سك العملات كانت مُصمّمة على غرار عملات أرادوس، من خلال توقيعاتها اليونانية بالإضافة إلى نقشٍ سامي على وجهيها [34.p.20].

وفي فترةٍ لاحقة بين سنتي (152– 139 ق.م) حدثت اضطرابات في الساحل السوري في فترة ألكسندر بالاس، والتي تفاقمت بغزو أرادوس منافستها التقليدية ماراثوس وتدميرها وذلك في حوالي سنة (140 ق.م) استناداً على المصادر والعملات الماراثية المُكتشفة بعد هذا التاريخ.

كما أكّدت ظهور عملات نقدية من نوعٍ نادر جداً عليها رأس الإله هيليوس (إله الشمس) ومقدمة سفينة شراعية وتحمل اسم جابالا، وتعود هذه العملات للسنوات (139– 105 ق.م)، ويدفع هذا الأمر للاعتقاد بأنّ جابالا كانت قد تخلّصت من السيطرة الآرادية في فترة الاضطرابات [71 –34.p.19].

وبعد أكثر من قرنٍ من الصمت من دون ورود أيّة معلومات عن جابالا، تُلقي العملات المعدنية من القرن الأول قبل الميلاد بعض الضوء مجدداً، حيث كشفت سلسلة ثانية من العملات المعدنية من النوع الآرادي، على أنّ جابالا كانت لا تزال جزءاً من بيرايا الآرادية في النصف الأول من القرن الأول قبل الميلاد (وهذه العملات تعود لأعوام 86/5– 2/ 53 ق.م)، ومن ثمّ فترة انقطاع معلومات مدة أربعين عاماً حتى سنة (86 ق.م)، عندما بدأت هذه المدينة بإصدار عملاتها المعدنية الخاصة، ومن المفترض أنّ هذه الإصدارات كانت لتلبية الحاجات المحلية في فترة ضعف وتراجع الملوك السلوقيين [135–23.p.134].

جابالا سرعان ما تغير وضعها خلال سنوات (45– 46 ق.م)، وتغيّر معها تأريخ العملات، ومن الواضح أنّ هذه الفترة جاءت متأخرة قليلاً، بعد زيارة يوليوس قيصر إلى سوريا، ويبدو أنّها انتظرت حتى سنوات (31– 30 ق.م) حتى استأنفت إصدار عملاتها الخاصة [16.p.8].

الوضع السياسي تغيّر بشكلٍ عام لاحقاً بدخول بومبي إلى سوريا سنة (64 ق.م)، وبداية الحرب الأهلية بينه وبين يوليوس قيصر، وانفصلت جابالا عن الحلف الآرادي نهائياً. وبدأت عملات السلسلة الثانية تشهد على تسارع وتيرة التأثيرات الهلنستية مقارنةً بالمدن الأخرى، سواءً من خلال التوقيعات اليونانية على عملاتها أو من حيث أسلوبها، وظهرت على عملات جابالا الآلهة تايكي ترتدي حجاباً تحت التاج على عكس العادة الآرادية. وتشبه تماماً عملات لاواديكيا، ولا بدّ أنّ القرب المباشر لهذه المدينة اليونانية الكبيرة والثرية قد ساعد على تطور الهلنستية لدى جارتها الفينيقية جابالا [34.p.40].

مع دخول الرومان إلى سوريا، والساحل السوري خاصةً في سنة (64 ق.م)، لم يتدخّل بومبي بالنظام النقدي القائم، وأمكن تقسيم العملات المحلية في الإمبراطورية الرومانية إلى نظامٍ نقدي ثلاثي المعادن، متكوّن من ثلاثة فئاتٍ متميزة: – الذهب والفضة التي كانت تُستخدم في المعاملات التجارية الكبيرة وفي دفع الضرائب الإمبراطورية، والعملات البرونزية والمعادن الأساسية. وكان الأوريوس aurei بمثابة عامل استقرار لقيمة كل من العملات الفضية والبرونزية. ولا يوجد دليل على سك العملات الذهبية في سوريا. لكنّ العملات الفضية كانت قد سُكّت فيها بشكلٍ أكّدته النقود المُكتشفة. وأيضاً الدينار denarii كان مُتداولاً في سوريا دليل الكنوز التي اكتُشفت على الساحل السوري والتي تعود إلى القرن الثاني الميلادي، والتي تُشير أيضاً إلى أنّ التترادراخما والدينار كانا متداولين جنباً إلى جنب في سوريا.

ويتساءل البعض فيما إذا كان مُتداولاً في سوريا في فترة القرن الأول الميلادي، رغم أنّ اللقى المُكتشفة تُظهر أنّهُ قد تمّ الاحتفاظ بالدياناروس إلى جانب التتراداخما السورية، ويُشير إلى بعض أوجه التشابه في القيمة الاقتصادية. كما شكّلت العملات البرونزية أيضاً غالبية المعاملات النقدية في المراكز الحضرية والمناطق الريفية، بينما شكّل الذهب والفضة احتياطياً رئيسياً للمعاملات التجارية والحكومية [79-38.p.61].

أمّا عن العملات التي سُكّت في جابالا في الفترتين الرومانية والبيزنطية فكانت وفيرةً وغزيرة، حيث تشهد الكاتالوجات ومجموعات النقود التي تمتد منذ عهد الإمبراطور الروماني أوغسطس Augustus (27 ق.م- 14م) إلى عهد الإمبراطور الروماني ماكرينوس Macrinus (165- 218 م)، وكانت هذه العملات مثيرة للاهتمام بسبب وفرتها، وتشهد على ازدهارٍ كبير عاشته المدينة في الفترة الرومانية والبيزنطية (انظر ملحق صور النقود). وأيضاً من الكنز المُكتشف للنقود الفضية والبرونزية والتي عُثر عليها في منطقة المصيطبة بجانب الميناء الفينيقي، حوى هذا الكنز على حوالي (17) قطعة من فئة التتراتشالكوس Tetrachalques و(36) قطعة من فئة الديتشالكون dichalquns *[9] [20.p.72].

إذاً يُمكننا أن نستنتج من خلال العملات المعدنية المُكتشفة ونستخلص منها معلوماتٍ عديدة عن أوضاع المدينة من الناحية السياسية عبر الفترات التي ذُكرت سابقاً، حيث مرّت دار سك العملة بجابالا بمراحل انقطاع أو ازدهار أو صمت حسب الظروف التي كانت سائدة في تلك الفترات التاريخية.

2-من الناحية الدينية وعبادات جابالا من خلال النقود المُكتشفة:

فلقد ساعدت جغرافية سوريا على تغلغل التأثيرات الدينية إليها. وتُقدّم لنا العملات المُكتشفة معلوماتٍ دقيقة ومهمة عن عبادات مدينة جابالا.

حيث أوصى الباحثون بضرورة أن تتبع دراسة الأديان بدقّة السياقات المحلية كأساس لجميع مناقشات الظواهر الدينية، وهو نهجٌ مدعومٌ بأدلّة العملات [38.p.345]. كان الإرث الديني في غرب سوريا (الساحل الفينيقي)، مدعوماً بمناطق الطبيعة الخضراء ومصادر المياه، حيث استلهمت المجتمعات الدينية عباداتها وطقوسها من وفرة الأمطار والمناظر الطبيعية الخلّابة والأراضي الخصبة، وبسبب قربها من البحر والجبال على حدٍّ سواء، تطورت التقاليد الدينية لمختلف المجتمعات على طول الساحل السوري بما يتماشى مع أنشطتها البحرية في الفترات الفينيقية والهلنستية والرومانية [30.p.34-35].

كما تُظهِر الحياة الدينية في الممالك الفينيقية قبل الإسكندر المقدوني شكلاً سياسياً واجتماعياً مختلفاً نوعاً ما عن المدن اليونانية، وذلك من حيث الهرم الاجتماعي (الملك) في أعلى الهرم والمختار من قبل الآلهة وكان الوسيط بين الشعب والآلهة. وفي وقتٍ لاحق أصبحت التأثيرات اليونانية أكثر وضوحاً في التقاليد الفينيقية نابضةً بالحياة، لكن في الوقت نفسه يجب أن نضع في الاعتبار أنّ الساحل الفينيقي كان قد بدأ في تبنّي المعايير الثقافية اليونانية قبل دخول الإسكندر الساحل السوري بوقتٍ طويل. فمنذُ العصور القديمة حتى أواخر العصر البرونزي، كان الإغريق والفينيقيون قد ارتبطوا باستمرار بشبكات وطرق البحر الأبيض المتوسط. وفي هذا الإطار تعلّم الإغريق الأبجدية من الفينيقيين في بداية الألفية الأولى قبل الميلاد، وكانت تربُط فيما بينهم علاقاتٌ مُتبادلة ومُكثّفة. كما تُظهِر أواخر الفترة الفارسية

[9]*- الديتشالكون dichalquns : وهي عملات نحاسية إغريقية صغيرة بقيمةٍ إجمالية لا تقل عن ثلاثة دراخمات.
https://www.forumancientcoins.com

(القرن الخامس والرابع قبل الميلاد)، تغلغلاً واضحاً للذوق اليوناني في الساحل. وعندما دخل الإسكندر المقدوني وجيشه الساحل السوري، اكتشفوا عالماً مُتأثراً بالثقافة الهيللينية [12.p.43]. وبدأت المدن الفينيقية تتحول إلى هيللينية، ومع ذلك يبدو أنّ التأثير الفينيقي لم يختفِ تماماً في ظلِّ وجود الثقافة الجديدة. حيث حملت عملات المدن السورية مشاهد لآلهة وأساطير فينيقية إلى جانب الآلهة والأساطير اليونانية مع وجوه الملوك السلوقيين [10.p.229].

وعند وصول المقدونيين إلى الساحل السوري، ضُمِنت الوحدة السياسية للمجتمع من خلال حكمٍ ملكي، جمعت بينها رابطة دينية، على سبيل المثال: معبد زيوس Zeus في بيتوكايكي، هذا المعبد الفينيقي الشهير والمرتفع في قلب الجبال والذي كان يُحتفل فيه باحتفالاتٍ دينية مهيبة ترافقت مع تقديم النذور والأضاحي، كان قد تابع ممارسة طقوسه وممارساته الدينية بعد دخول المقدونيين إلى الساحل السوري [34.p.31].

إذاً لقيَ الإسكندر المقدوني بعد وصوله إلى الساحل السوري ترحيباً من قبل سكان الساحل السوري وحكّامه باستثناء صور. وأصبح الملوك الفينيقيين الذين كانت قد اختارتهم الآلهة رعايا عند الإسكندر المقدوني. كما احترمت السلطات الجديدة بشكلٍ نظري الأرستقراطيات المحلية والعائلات المالكة، لكنّها حولتهم إلى دمىً وأدوات سياسية، حيث قدّم الإسكندر نفسه على أنّه وريث الإله هرقل Heracles وديونيسيوس Dionesius في الشرق. وأصبحت الوساطة والصلة الدينية للملوك الأصليين بلا معنى تدريجياً، وحافظ السكان الجُدد على الآلهة المحليّة وتبنّوها وحولوها تدريجياً إلى آلهةٍ يونانية [12.p.45].

من أشهر وأغنى المصادر الأدبية التي كتبت عن الديانات السورية هو لوقيانوس السميساطي Lucian "الآلهة السورية" الذي تحدّث في كتابه عن المعابد والآلهة السورية مثل: أتارغاتيس Atargatis وحدد Hadad، وكان يُشير إليهما طوال الوقت باستخدام اسميهما اليونانيين زيوس وهيرا Hera.

خليطٌ من تأثيراتٌ دينية متبادلة هلنستية ورومانية وشرقية أثبتتها النقود والمصادر الأدبية والأثرية، كالنقش اليوناني الذي يذكر المجلس الديني الأعلى في سلوقية بيريا، كان قد أعطى الإذن لإقامة تمثالٍ لتايكي لاواديكيا في معبد زيوس كاسيوس Zeus Kasios على جبل أكرا (الأقرع). وتأثيراتٌ شرقية موازية نلاحظها على العملات السلوقية، بالإضافة إلى عبادة الآلهة أتارغاتيس السورية الذي أصبح سمكها المُقدّس بنظر المؤرخين اليونان والرومان جانباً أساسياً للممارسات الدينية في الشرق. وكما ذُكِر سابقاً تأثير الجغرافيا المحيطة على الحياة الدينية وآلهة المنطقة، فعلى سبيل المثال: نُشاهد تايكي أنطاكيا (آلهة حظ المدينة) تحمل النباتات بين يديها وتُطلُّ على نهر العاصي. كما أنّ أماكن عبادة الآلهة أتارغاتيس تميّزت بوجودها على بحيراتٍ، تُقام حولها العديد من الأنشطة الدينية، وأبولو Appolo تركزت عبادتهُ أيضاً حول الينابيع المتدفقة والبساتين الكثيفة الأشجار [43–30.p.42]. كما يذكر باوسينياس Pausanias [25.2.1.8] "أنّ أحد أهم مقدّسات ومعابد جابالا هو معبد (مزار) مُقدّس لدوتو Doto (نيريد Nereid) حيث لا تزال بقاياه موجودة هناك" [10]*.

العديد من النقوش المُكتشفة في جابالا حملت رموزاً معيّنة كالنخيل الذي نُقش على التترادراخما، وهو شعارٌ كان يُقرأ اسم جابالا عليه، بالإضافة إلى رمز (برج أو كوكب) جابالا المُكتشف على العملات وهو سرطان البحر. عملاتٌ أُخرى من جابالا حملت رأس تايكي على الوجه الأول، وصورة الإلهة أثينا Athena على الوجه الآخر. إصدارٌ نقديٌّ

[10]*- النيريد Nereid حوريات البحر، وهي أرواحٌ أنثوية لمياه البحر عددهنّ 50 حورية وهنّ بنات شيخ البحر نيريوس Nereus، ودوتو كانت واحدةٌ منهنّ واسمها يعني المانحة، هذه الحوريات كنّ ودوداتٍ ويساعدن البحارة في البحار. https://www.britannica.com

آخر من جابالا يعود لسنة (73 ق.م) عليه آلهة ترتدي رداء مُرصّع بالجواهر والتي من المُحتمل أنّها تُمثّل الآلهة عشتروت السورية المحلية.

وأيضاً تكرّر تصوير النحلة وحزمة السنابل، وهي ليست سوى سمةً مميّزة لعشتار جابالا. وأيضاً وُجِد رأس الإله هيليوس Helios مع مقدمة سفينة شراعية على عملاتٍ تحمل اسم جابالا تعود لأعوام(139– 105 ق.م). [34.p.9–10– 19].

إذاً ثلاثة آلهة من الممكن اعتبارهم الآلهة الرئيسة للعبادة الرسمية في جابالا: زيوس وهيليوس، ووجود زيوس لا يحتاج إلى أي تفسير: إنّه الجانب اليوناني لإله العاصفة الذي يتربّع على قمّة ورأس المعابد في جميع مدن فينيقيا وسوريا. هذه المدن نفسها تعبُد دائماً إلى جانبه الآلهة عشتار Ashtar التي صوّرتها العملات الهلنستية ترتدي رداءً قصيراً مُزيّناً بالأحجار الكريمة، وصُوِّرت أيضاً على العملات أيضاً في الفترة الرومانية.

والأكثر إثارةً للإعجاب في عملات جابالا هو ظهور الإله هيليوس المُتكرّر على العملات، وهو أمرٌ نادر أن يظهر إله الشمس في تلك الفترة على العملات السورية، وهذا إن دلّ على شيء فهو يدلُّ على ضآلة دوره في العبادات الرئيسة في المدن السورية الأخرى، سواءً كانت يونانية أو سامية، أو هو دلالةٌ على أهميّة عبادة هذا الإله لدى الجابالليين، بالإضافة إلى تكرار اسمه باللغة اليونانية الدورية على قطعٍ فخارية محلية من القرن السادس إلى الرابع قبل الميلاد عثرت عليها البعثة الأثرية الدانماركية في تل سوكاس.

إذاً نُلاحظ أنّ الجابالليين كانوا قد اختاروا ثلاثة آلهة لتزيين عملاتهم خلال الفترة الهلنستية "زيوس– عشتار (عشتروت)– هيليوس (إله الشمس الشاب)". ومع ذلك في الفترة الرومانية تُظهِر عملةٌ تعود لفترة الإمبراطور كومودوس Commodus (161– 192 م) من إصدار جابالا، أظهرت إلهاً غريباً وغير معروف (تمثال للإله بعل ملتحٍ وعليه رداء) مُقام بشكلٍ هرمي على قاعدةٍ مُحاطة بعربة تجرّها خيول، كما يُلوّح هذا الإله بسيفٍ ثنائي، ويحمل في ذراعه اليسرى درعاً غير عادي على شكل قرصين متصلين. هذا الإله يبدو غريباً في البانثيون الفينيقي، هذه السِّمات كانت محلية، وصل تأثيرها من أقصى نقطة في شمال سوريا على حدود كوماجيني وكيليكيا (تأثير حتّي)، وعلى ما يبدو أنّ إله جابالا كان قد ضمّ أثراً لهذا الفن من الشمال السوري، كان قد وصل إلى جابالا في ظروفٍ تتجاوز حدود معرفتنا اليوم، وحُفظ هذا التأثير حتى فترة الإمبراطورية الرومانية.

كما يُمكن للمرء أن يتعرف بسهولةٍ إلى إله الشمس في عملات جابالا (عبادة الشمس)، حيث صوّرت عملاتٌ تعود لفترة الإمبراطور كراكلا Caracalla (198– 217 م) آلهة جالسة ترتدي رداء وتُرضع طفلاً، هذا الأمر يسمح لنا بأن نُحدّد الآلهة والطفل من خلال المشهد نفسه على عملة أخرى مُكتشفة في سكيثوبوليس Scythopolis وأن نؤكّد أنّ طفولة الإله باخوس كانت لها احتفالاتٌ دينية خاصة. هذه المشاهد كانت بالتأكيد جزءاً من الاحتفالات الدينية الخاصة المنتشرة في سوريا الرومانية، والتي وجدت مكاناً لها أيضاً في طقوس جابالا.

أيضاً مشاهد مُتكرّرة للآلهة أثينا في إصدارٍ تعود لفترة سبتيموس سفيروس Septimius Severus (193– 211م) مثّلت أثينا واقفة مع إكليلٍ على جبهتها وصولجان في يدها ومحاطة بأسدين. هذه الحيوانات هي حيوانات الآلهة أتارغاتيس، لكنّ الصور المعروضة على العملات المعدنية ليس لها مثيل في سوريا. وفي بعض الأحيان يكون سفينيكس والبومة كافيين لتجسيد الآلهة عشتار وأثينا [34.p.26–28]. كما نُلاحظ أيضاً ظهورٌ لعملات جابالا في مدينة سلوقية بيريا عليها إلهٌ مُطابقٌ تقريباً لڤينوس أرخيتيس Venus Architis سمتها غطاء الرأس هي ڤينوس هيليوبوليتانا Venus Heliopoitana [38.p.345]. جابالا مثل العديد من المدن السورية، كان يجب أن تذكر

كوكبها (برجها) على عملاتها وهو (سرطان البحر) وبين مخلبيه وُجِد الهلال، وليس معروفاً ما هو الحدث الذي يُشير إليه هذا البرج، لكن من الممكن أن يكون منح الوضع الجديد للمدينة من قبل يوليوس قيصر علاقةٌ بذلك [34.p.28].

وكانت العلاقة بين النخبة الفينيقية المحلية وروما في سيطرتها على المجتمع المحلي، علاقة توافق من خلال تكييف الوضع الديني من أجل دعم سيطرتهم وإضفاء الشرعية على حكمهم. وكان بإمكان هذه النخبة أن تؤكد مكانتها ليس فقط كوسطاء بين المجتمع والسلطات الرومانية، لكن أيضاً كممثلين لمصالح المجتمع. أمّا بالنسبة للآلهة فكما هو الحال في روما كانت الطبقة الأرستقراطية في الفترة الجمهورية ومن ثم الأباطرة بمثابة الآلهة (تأليه الأباطرة) بالإضافة إلى المناصب الدينية العديدة من أجل ترسيخ وإضفاء الشرعية لسلطتهم على المجتمع، وهكذا استطاعت النخبة المحلية تعزيز سلطتها الإدارية، وإضفاء الشرعية على حكمها [38.p.64].

إذاً أظهرت لنا العملات العديدة المُكتشفة في جابالا الأوضاع الدينية التي كانت سائدة في تلك الفترات ولو بشكلٍ بسيط، ابتداءً من الآلهة ودور الحكّام والطبقة المحلية والممارسات الدينية والتأثيرات الدينية المتبادلة التي أدّت إلى خليطٍ ديني شرقي وغربي (فينيقي (سوري ومصري ورافدي) ويوناني وروماني)، حيث دُمجت هذه التأثيرات بطريقةٍ مكّنتها من تكوين هويتها الثقافية الخاصة.

3- اقتصاد جابالا من خلال العملات والمُكتشفات الأثرية.

ساهمت النقود المُكتشفة ووفرتها والنقوش التي صُوِّرت عليها (سنابل القمح – الكرمة – والعديد من النباتات الأخرى..)، بتكوين فكرةٍ عن ازدهارٍ اقتصادي واضح في هذه المدينة التي تقع في أخصب سهول شرق المتوسط، إضافةً إلى موقعها الاستراتيجي المُهم وتحكّمها بالطرق البحرية والنهرية والبرية العابرة لجبالها وسهلها (طرق التجارة القديمة).

ففي الألفية الثالثة قبل الميلاد أو في فترة العصور القديمة، كانت الطُّرق التجارية التي تعبر جبال النصيرية الحالية، تربُط تل تويني (جيبالا) بوادي العاصي. وكان هذا المنفذ المباشر من البحر المتوسط إلى قلب سوريا والأناضول وحتى بلاد ما بين النهرين أساس ثروة المدينة وازدهار ميناءها. وبالمثل ساهمت وفرة المياه والينابيع العديدة في ازدهار جيبالا في العصرين البرونزي والحديدي. ففي فترة البرونز المبكّر (3200– 2000 ق.م) اتّسمت المنطقة بالانتقال من المجتمعات زراعية إلى المجتمعات الحضرية المعقّدة. كما وتُشير النصوص الاقتصادية من إيبلا عن المنطقة، لكنّها لا تُقدّم أيّة معلومات كثيرة عن الأوضاع الاقتصادية التي جرت هناك، ولحسن الحظ أمكن العثور على بعض المعلومات المُتعلّقة بالمنطقة في النصوص الأدبية والنقوش الملكية من بلاد ما بين النهرين والتي تعود للألفية الثالثة قبل الميلاد. حيث تكشف هذه النصوص عن الأهمية الاقتصادية للسهل، بالإضافة لتحكّمه بالتجارة البحرية على طول ساحل المتوسط، حيث أعلن لوغال Lugal ملك أوما وأوروك، أنّهُ سيطر على جميع الأراضي الواقعة بين البحرين الأدنى والأعلى. وتُشير هذه البحار السفلى والعليا إلى الموانئ الدولية للخليج العربي والبحر المتوسط. وتمّ تبادل البضائع والمنتجات بين ساحل المتوسط ومصر، كما سعى ملوك مصر وبلاد ما بين النهرين على السواء للحصول على أخشاب الساحل السوري وخاصةً خشب الأرز. وأصبحت هذه الظاهرة أسطورية في أدب بلاد ما بين النهرين منذ الألفية الثالثة قبل الميلاد.

وابتداءً منذ هذه الفترة شنّ ملوك ما بين النهرين العظام حملاتٍ منتظمة على ساحل المتوسط، حيث يفتخر سرجون الأكادي Sargon (2340– 2284 ق.م) بغزوه "الدول الغربية" في السنة الحادية عشرة من حكمه، كما ادّعى أنه عبر البحر إلى جزيرة قبرص. ويُخبرنا نصٌّ تاريخي لاحق يعود تاريخه إلى العصر الآشوري الحديث أنّ جميع

الأراضي الواقعة بين الخليج العربي وكريت أناكو Anaku (قبرص) قد استسلمت لسرجون ثلاثة مرات. وأيضاً ادّعى خلفاء سرجون (ريموش Rimush (2214– 2206 ق.م) ونارام سين Naram Sin (2273– 2209 ق.م) و شار كالي شاري Shar kali shari 2218– 2100 ق.م) أنّهم أمّنوا التجارة الدولية عبر البحر المتوسط من خلال السيطرة على مدن وموانئ الساحل السوري، هذا الاتصال المباشر مع بلاد ما بين النهرين وكذلك التجارة الدولية مع بحر إيجة بثرواته الاقتصادية [16.p.11–17; 34.p.9].

أمّا في النصف الثاني من الألفية الثانية قبل الميلاد (العصر البرونزي)، شهد سهل جيبالا انتعاشاً اقتصادياً كبيراً (منطقة شرق المتوسط) بأكملها. حيث كانت المنطقة جزءاً من شبكة تجارية واسعة النطاق في شرق المتوسط، وتمّ الحفاظ على هذه الشبكة التجارية في حالة سلامٍ نسبي رغم المشاكل السياسية القائمة، ولقد اعتُمِد في الحفاظ على هذا السلام على العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية في الكثير من الأحيان مع الامبراطوريات الواقعة شمالاً وجنوباً، وانعكسَ هذا الوضع الإيجابي بإنشاء شبكاتٍ تجارية دولية مكثّفة شارك بها سكّان سوريا بنشاط.

وكانت موانئ المدن السورية في تلك الفترة (كتل تويني "جيبالا")، موانئ مهمّةً في تجارة القصدير والنحاس، حيث وصل القصدير إلى سوريا من بلاد ما بين النهرين على طرق التجارة البرية الدولية (من الشرق وربما من بدخشان عبر ماري). وكان النحاس يُستورد من قبرص عبر موانئ المدن الساحلية، حيث وفّرت هذه الموانئ للتجار من ماري ومراكز أُخرى مكاناً مناسباً لتبادل البضائع مع تجار كريت [15.p.20–21]. هذه الحركة التجارية النشطة أثبتتها البقايا الأثرية المكتشفة للخزف القبرصي في تل تويني وغيرها من تلال جبلة الأثرية الأخرى والتي تعود للألفية الثانية والأولى قبل الميلاد، حيث تبوّأ تل تويني (جيبالا) الدور الرئيسي في النظام الاقتصادي بفضل ارتباطه بالبحر وموقعه الجغرافي بالنسبة إلى الداخل [15.p.69]. الشكل رقم (5).

أمّا في فترة الألفية الأولى قبل الميلاد وفي ظلِّ حكم الممالك الآرامية في سوريا، خضع الساحل السوري لتأثيراتٍ سياسية واقتصادية جديدة، حيث أصبحت المدن الفينيقية صلة الوصل بين الشرق الأدنى وشرق البحر المتوسط، مُسيطرةً بذلك على التجارة البحرية الدولية. هذه التجارة التي جرّت الثروات إليها وجذبت الآشوريين الذي قاموا بإرسال الحملات العسكرية إلى المدن الفينيقية (ضدّ مدن الساحل الغربية) ممّا أدّى إلى دمج هذه المدن ضمن الإمبراطورية الآشورية الحديثة (900– 609 ق.م) في عهد تغلات فلاصر الثالث (744– 727 ق.م)، حيث ذُكِرت جيبالا القديمة نفسها في نقشٍ يعود له. وفي فترة سرجون الثاني(722– 705 ق.م) كُشِف عن وجودٍ عسكري آشوري (تحصينات عسكرية آشورية) في تل سيانو. [13.p.257–264] على أيّة حال تمتّعت مدن الموانئ الفينيقية كما ذُكِر سابقاً بنوعٍ من الاستقلالية في ظل السيطرة الآشورية، رغم أنّها كانت مُلزمة بدفع جزيةٍ كبيرة.

أمّا بالنسبة لمنتجات جيبالا في الفترات التاريخية المُتعاقبة وصولاً إلى الفترة الهلنستية والرومانية والبيزنطية، يُمكن تعداد الكثير من المحاصيل الزراعية التي أنتجها ذلك السهل الخصب كالقمح والزيتون والعنب والأشجار المُثمرة الأخرى ...، ففي نهاية القرن الثامن قبل الميلاد في تل تويني تحديداً أصبح إنتاج زيت الزيتون والنبيذ النشاط الاقتصادي الرئيسي في المدينة، حيث عُثِر على العديد من معاصر زيت الزيتون والنبيذ ومنشآت تكريرها في كل منزلٍ تقريباً، واستمر هذا النشاط الزراعي والصناعي والتجاري في الفترات الهلنستية والرومانية من خلال اكتشاف العديد من معاصر الزيتون والنبيذ والتي يعود تاريخها إلى الفترة المذكورة [15.p.43–44].

إنّ سهل جبيالا وتلاله المحيطة كان مركزاً زراعياً خصباً وتجارياً وصناعياً مُزدهراً، حيث من الممكن المُلاحظة على أغلب العملات المُكتشفة أو حتى النقوش وجود صور الآلهة التي تحمل سنابل القمح أو نبات الخشخاش بالإضافة إلى الكرمة.

كما يذكر بلينيوس الأكبر Pliny" أنّ سوريا الواقعة خلف فينيقيا، الأقرب إلى يهودا، كانت تنتج العبهرstyrax *[11]وكان يُزرع بكثرة في القسم المُحيط بجابالا وماراثوس وجبل كاسيوس في سلوقية". [28.5.18.1]. هذا عدا عن وصف الجغرافي سترابون للساحل السوري وزراعة الكرمة فيه والتي تمتدُّ إلى أعالي الجبال [16.2.12 .36].

هذا عدا عن المراكز الصناعية العديدة: كمراكز لصناعة الفخار والصناعات المعدنية وسك العملة وأحواض لصناعة السفن والصناعات النسيجية في الفترات القديمة البرونز والحديد والفترات الهلنستية والرومانية والبيزنطية. [23.p.18– 133; 34.p.21–30].19–

إذاً يُمكننا الاستنتاج من خلال المعلومات التي ذُكِرت سابقاً عن ازدهارٍ اقتصادي (زراعي وصناعي وتجاري) واضح في هذا السهل الخصب واستمرار هذا الازدهار طوال الفترات التاريخية المُتعاقبة، هذا الأمر أثبتتهُ المُكتشفات الأثرية العديدة لمعاصر الزيتون والنبيذ والأواني والجرار الفخارية المُرتبطة بصناعة زيت الزيتون والنبيذ وغيرها واستخدامها في التبادل التجاري المحلي والدولي.

الخاتمة:

من أهم النتائج التي تمّ التوصّل إليها في هذا البحث:

أنّ مدينة جبلة عبر الفترات التاريخية القديمة كانت قد وقعت تحت سيطرة الإمبراطوريات العالمية: كالآشورية والمصرية والحثية والفرس الإخمينيون ومن ثمّ المقدونيون (السلوقيون) والرومان وصولاً إلى البيزنطيين حتى دخول العرب المسلمين إليها. فقد كانت جبيالا في فترات البرونز والحديد عبارة عن ممالك صغيرة مستقلّة: تل سيانو (مملكة سيانو)، وتل تويني (جبيالا القديمة) ميناء أوجاريت، وسوكاس وغيرها ... ، فتارةً كانت تتبع لسلطة أوجاريت، وأحياناً كانت تتبع لسلطة الملك الحثّي وأحياناً لفراعنة مصر.

وأيضاً من النتائج المُهمّة في البحث هو اهتمام الآشوريين بهذه المنطقة، سواء الدولة الآشورية القديمة وصولاً إلى الدولة الآشورية الحديثة، من خلال ذِكر اسم جبيالا في نقوش الملوك الآشوريين أثناء حملاتهم العسكرية على الساحل السوري، والذي أكّد هذا الأمر وأثبتهُ هو اكتشاف التحصينات الآشورية والأختام والمُكتشفات الأثرية الآشورية العديدة الأخرى في تل سيانو وغيرها..

أمّا جابالا في الفترات الفارسية والهلنستية كانت مدينةً فينيقية ضمن حلف أرادوس، حتى وصول يوليوس قيصر في بداية السيطرة الرومانية على سوريا، الذي أعطى جابالا حريّتها وانفصلت عن الحلف الآرادي بسبب موقفها ضدّ بومبي، وبدأت تتحول جابالا من مدينةٍ فينيقية إلى هلنستية، هذا التحول رأيناه في تخطيط شوارعها وفي مسرحها الروماني والحمام الهلنستي والروماني وغيرها الكثير...

جابالا أيضاً كانت مدينةً صغيرة غنيّة ومزدهرة اقتصادياً، فقد تحكّمت بحكمِ موقعها بالطرق التجارية القديمة العابرة لجبالها (جبال بارجيليوس)، وموانئها وطرقها البحرية والنهرية، إضافةً لسهلها الخصب المناسب لكافة أنواع المزروعات من قمح وزيتون وكرمة والعديد من الأشجار المثمرة الأخرى، بالإضافة إلى الأشجار التي كانت تُستخدم لبناء السفن،

[11]*- styrax *الإصطرك: دلب باللاتينية Styracaceae (الطبي) أو الراتنج المُستخدم بكثرة في الصناعات الدوائية والعطرية.

وقيام صناعاتٍ عديدة فيها كالصناعات المعدنية، والفخارية والخشبية، ودور سك النقود التي كانت منتشرة فيها، وصناعة زيت الزيتون والنبيذ وغيرها ...

أمّا وضع جابالا الديني فقد احتوت خليطاً متميّزاً ومتنوعاً من تأثيراتٍ شرقية وغربية، انعكس على آلهتها وطقوس عبادتها.

في نهاية هذا البحث يُمكن القول أنّ سهل جبلة غنيٌّ بالتلال والمواقع الأثرية التي لم يتم العمل بها بشكلٍ كبير ومستمر، حيث أتى عمل البعثات الأثرية فيها بشكلٍ مُتقطّع وغير متواصل، رغم أهمية المُكتشفات أثناء العمل، هذا الأمر الذي أعطى الفرصة لحدوث تنقيبات غير شرعية في العديد من المواقع الأثرية والتي كان من الممكن أن تُلقي الضوء على الكثير من الحقائق التاريخية الغامضة والمهمة لتاريخ هذه المدينة ودورها على الساحل السوري الفينيقي.

References:

[1]. A. Bounni., M. Al- Maqdissi, Compte rend u de la cinquieme comapagne de fouilles a Tell Sianu sur la cote Syrienne. 1998.

[2]. ANONYMOUS, "ANTONINE ITINERARY". *Wikidata*. https://topostext.org.

[3]. ANONYMOUS, "PEUTINGER TABLE. SYRI. ROSOS".*Wikidata*. https://topostext.org.

[4]. Arrian. Anabasis of Alexander. Translated by Edward Chinnock. II. 1920.

[5]. Benzinger, Article. "Gabala" dans Pauly Wissowa Real. *Encyclopadie. Stuttgrat*. 7. 1. 1910.

[6]. BURDIGALA ITINERARY. *Wikidata*. https://topostext.org.

[7]. B. W. Salas, The Strategides and themes A quantitative Approach to the Byzantine Empires Administrative Structure. Chicago. 2024.

[8]. C. Bonnet, The Religians of the ancient Mediterrean. Germany. 2008.

[9]. Claudius Ptolemy. The Geography of Ptolemy. Translation by Dover Publications. Book II, Chapter 6. II- VI. The University of Chicago. 1991.

[10]. D. J. Grainger, Hellenistic Phoenicia. Oxford. 1991.

[11]. E. Alkhatib, "Social and economic developments in Syria during the Roman period (I- III A.D.)" (phd in Russian). Stavrobol. 2017.

[12]. E. Frezouls, "Recherches sur Les theatres romains de L Orient". *Annales archeologiques de Syrie*. Tom 36. 1952.

[13]. E. R. Bevan, The house of Seleucus. Vol. I. London. 1902.

[14]. F. Duyrat, Arados (Phenicie) au lle Siecle monnaie expansionnisme regiobal et richess. Rev. num. Tom. 168. 2012.

[15]. Flavius Josephus. Jewish Antiqutis. Translated by William Wishton. Book XIII. Book 13. Chapter 15.

[16]. H. Seyrig, *Monnaies Hellenistiques. Revue numismatique* – Tom 6. "Gabala". 1964.

[17]. J. Brestschneider., K. V. Lerberghe, "Tell Tweini. Ancient Gabala, between 2600 B.C. 333 B.C." *In Search of Gibala*. Spain. 2008.

[18]. J. Brestschneider., H. Hameeuw, "Urban development at Tell Tweini". *In Search of Gibala*. Spain. 2008.

[19]. J. Brestschneider., K. V. Lerberghe, "The Syro- Belgian "Tell Tweini" project". *In Search of Gibala*. Spain. 2008.

[20]. Johannes Malalas. Chronographia. Book 18. 1-7. 10-18. 18- 448. London. 1905.

[21]. J. P. Rey. Coquais, "Arados et regions voisines Nos 4001- 4061". *Inscriptions greques et latiens de la Syrie*. Tom VIII Paris. 1970.
[22]. M. Al- Maqdessi., A. Soulyman, "Tell Aris". *The History of Syria in one Hundred Archaeological sites*. (in Arabic). Translated by Yosef Kejek. Prepared by the Wkira Tsuneki. Damask. 2018.
[23]. M. Al- Maqdessi., M. Badawi., E. Eva, "Tell Twenei". *The History of Syria in one Hundred Archaeological sites*. (in Arabic). Translated by Yosef Kejek. Prepared by the Wkira Tsuneki. Damask. 2018.
[24]. M. Badawi, "Al- Musytbeh Site- Jableh- Latakia-" *The History of Syria in one Hundred Archaeological sites*. (in Arabic). Translated by Yosef Kejek. Prepared by the Wkira Tsuneki.Damascus.2018.
[25]. M. Badawi, Lesthermes de Gabala (Jable- Syrie). 25 siecles de bain collectif en Orient. Institut francais d archeology orientale. Caire. 2014.
[26]. N. Pollard, Soldiers. Cities and civilians in Roman Syria. USA. 2000.
[27]. O. Carmen, Rethinking Roman perceptions of costal land capes. A study of the Levant. University Southamton. 2016.
[28]. O. Webster, Identity Religion and Empire The Civic coins of Roman Phoenicia. University Nottingham. Phd. 2018.
[29]. Pausanias. Description of Greece. Translated by J. G. Frazer. Book 2. Vol. III. London. 1898.
[30]. PHOTIUS, BIBLIOTHECA EXCERPTS. Wikidata. https://topostext.org. 96. 10.
[31]. Pliny. Natural History. Translated by H. Rackham. 12- 37. 12.55.1. 1952.
[32]. P. Pfalzner, "Levantine kingdoms of the late Bronze Age". *A companion to the archeology of the ancient Near East*. Oxford. 2012.
[33]. Salaminius Hermias Sozomenus. The Ecclesiatical History. Translated by Chester D Hartranft. Book 2. 8. 16. 1890.
[34]. STEPHANUS OF BYZANTIUM, ETHNICA. G 191. 19. Wikidata. https://topostext.org.
[35]. Strabo. The Geography of Strabo. The Loeb classical library. Book XVI. Vol. VII. 1932.
[36]. S. Vailhe, "Gabala". *The Catholic Encyclopedia*. New York. 1909.
[37]. T. Boiy, "Gabala during the Hellenstic and Roman Periods". *In Search of Gibala*. Spain. 2008.
[38]. W. Reed., E. Loura, Water and Religious life in the Roman Near East. Gods. Spaces and Patterns of workship. Durham University. 2018.

فهرس الخرائط والصور والعملات النقدية.

(1) خريطة الساحل السوري الفينيقي "جابالا" وتلالها الأثرية.

الصورة (1) تُظهر مواقع تلال جبلة الأثرية – مُخطط لتل تويني (جيبالا).

الصورة (2) تُظهر تل تويني (جيبالا القديمة) قبل جفاف النهر الذي كان صالحاً للملاحة، وحالياً بعد جفافه.

الصورة (3) أختام فرعونية عليها نقوش هيروغليفية مُكتشفة في تل تويني (جيبالا)، تعود لفترة البرونز.

الصورة (4) أختام آشورية مُكتشفة في تل تويني (جيبالا)، دليل السيطرة الآشورية على المنطقة.

الصورة (5) مكتشفات لختم وجرار فخارية مختلفة تعود لفترة البرونز في تل تويني (جيبالا).

الصورة (6) ميناء جبلة الفينيقي.

الصورة (7) وزنة رصاص مُكتشفة في موقع المصطبة بالقرب من الميناء الفينيقي.

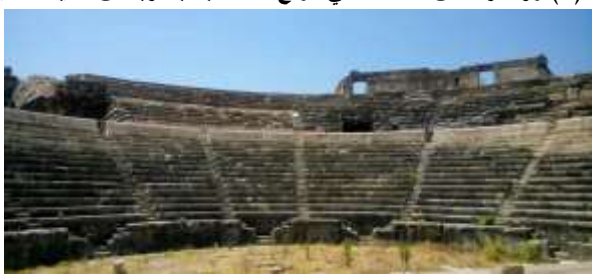

الصورة (8) مدرّج جبلة الروماني.

الصورة (9) مدافن الجبيبات الغربية (تعود للفترات الهلنستية والرومانية والبيزنطية).

الصورة (10) بقايا حمام جابالا الهلنستي الروماني، تظهر في هذه الصور قنوات وخزانات المياه وأساسات الأعمدة.

الصورة (11) بعض اللُّقى الأثرية في حمام جابالا، مشغولات ذهبية وبرونزية بالإضافة إلى تمثال لرأس امرأة، وبقايا مصنوعات فخارية.

<u>ملحق النقود المُكتشفة في جابالا.</u>

جابالا، 224– 225 ق.م، رأس تايكي على اليمين، وعلى اليسار برج تقف فوقه أثينا وفوقه نقش حرفين ГB رمز جابالا، ونقش فينيقي في الأسفل.

جابالا، تمثال نصفي لإله الشمس هيليوس، وإله مذكر عارٍ يحمل تمثال على الوجه الآخر.

جابالا، رأس تايكي على رأسها تاج، وعلى الوجه الثاني الحرفين ΓB فوق مقدمة سفينة على اليسار مع تمثال لأثينا وهي تُقاتل، تحمل درعاً ورمحاً. 19- 18 م

جابالا، 186- 187م. رأس تايكي ترتدي رداءً مُزخرفاً، وعلى الوجه الآخر مقدّمة سفينة مع نقشٍ بارز، والحرفين ΓB والحرف الفينيقي فوق هذين الحرفين.

جابالا، 18 م، إصدار مدني، رأس تايكي على وجه، وعلى الوجه الآخر سفينة وكتابة فينيقية في الأسفل.

جابالا، 80- 57 ق.م، تمثال نصفي لأثينا ترتدي خوذة على رأسها، وعلى الوجه الثاني نُقِشت كلمة ΓABAEΛΩN ودرع ورمح خلفه.

جابالا، إصدار مدني، القرن الأول قبل الميلاد، رأس زيوس، أو بوسيدون المُلتحي على الوجه الأول، وعلى الوجه الثاني ΓABAEΛΩN فوقه السرطان وبين مخلبيه النجمة والهلال.

جابالا، 23م، على الوجه الأول رأس زيوس الملتحي، وعلى الوجه الآخر نسر باسطٌ جناحيه، حرف جيميل الآرامي ΔOP وفي الحقل الأيسر وحرف Z فوق حرف الياء بين مخالب النسر.

أوغسطس، 1- 14 م، رأس أوغسطس على الوجه الأول، وعلى الوجه الآخر ΓABAEΛΩN على اليسار، وعشتار جالسة تحمل خشخاشاً وصولجاناً، وسفينيكس عند قدمها ΛM على اليسار.

غايوس كاليغولا، 20 م في جابالا، رأس الامبراطور على وجه وعلى الوجه الآخر نسر على يساره نقش ΓABAEΛΩN.

عملات مكتشفة للإمبراطور تراجان. حاكم جابالا، 105م، رأس الحاكم على وجه، وعلى الوجه الآخر عشتار جالسة على اليسار تحمل خشخاشاً وسنابل قمح، ونجمة وهلال مع كلمة جابالیون ΓABAEΛΩN.

تراجان حاكم جابالا، رأس الامبراطور على وجه 109- 119م، وعلى الوجه الآخر نسر باسط جناحيه وكلمة جابالیون ΓABAEΛΩN .

تراجان، جابالا، 98-117م، تؤرخ لسنة 111- 112م، رأس مكلّل بالغار وعلى كتفه درع، وعلى الوجه الآخر عشتار جالسة تحمل سنابلاً وصولجاناً، وسفينيكس عند قدميها.

تراجان، من جابالا، سلوقية وبيريا، ونسر على الوجه الآخر وكلمة جابالیونΓABAEΛΩN .

تراجان حاكم جابالا، الامبراطور يرتدي درعاً على وجه، وعلى الوجه الآخر كلمة جابالیون ΓABAEΛΩN وعشتار جالسة تحمل سنابلاً وخشخاشاً.

تراجان، من جابالا، 112–113م رأس الامبراطور مكلّل بالغار، وعلى الوجه الآخر كلمة جابالیون ΓΑΒΑΕΛΩΝ وعشتار جلسة على عرش تحمل صولجاناً وزهرة الخشخاش، وسفينيكس عند قدميها.

الامبراطور كومودوس، جابالا، رأس كومودوس مكلّل بالغار ويرتدي درع على الوجه الأول، وعلى الوجه الثاني كلمة جابالیون ΓΑΒΑΕΛΩΝ، بومة بمواجهة سفينيكس.

الامبراطور كومودوس، جابالا، وسلوقية بيريا، رأس كومودوس مكلّل بالغار على الوجه الأول، وعلى الوجه الثاني تايكي جالسة تحمل بيده قرن الوفرة، وأمامها تمثال عشتار.

الامبراطور كومودوس، جابالا، رأس كومودوس مُكلّل بالغار على الوجه الأول، وعلى الوجه الثاني كلمة جابا–ليون وأحرف ج– ل– إي ΓΛΕ ΓΑΒΑ–ΕΛΩΝ وبومة واقفة بمواجهة سفينيكس الذي يرتدي خوذة.

الامبراطور كومودوس، جابالا، رأس كومودوس مُكلّل بالغار على الوجه الأول، وعلى الوجه الثاني كلمة جابالیون وأحرف ... ΓΑΒΑ–ΕΛΩΝ ΓΛΕ بومة واقفة وعلى يمينها كرة، تُواجه سفينيكس يرتدي خوذة.

الامبراطور كومودوس، جابالا، رأس كومودوس مُكلّل بالغار ودرع على الوجه الأول، وعلى الوجه الثاني كلمة جابالیين ΓΑΒΑΛΕWИ تاريخ ΓΑC ، وتمثال نصفي لأثينا مرتدية خوذة على اليمين، تُقابلها تمثال للربّة عشتار وهي جالسة.

الامبراطور كومودوس، جابالا، رأس كومودوس مُكلّل بالغار على الوجه الأول، وعلى الوجه الثاني إلهٌ ملتحٍ يرتدي تاج، ويحمل درعاً وريش، ورأسي حصان على يسار ويمين القاعدة التي يجلس عليها هذا الإله، وتايكي تجلس على يسار الحقل الأيمن، تحملُ بيدها قرن الوفرة ودفّة.

الامبراطور سبتيموس سيڤيروس، جابالا، رأس سيڤيروس مُكلّل بالغار مع درع وقلادة على اليمين وعلامة SΛ وكلمة جابالیون ΓΑΒΑΕΛΩΝ الوجه الأول، وعلى الوجه الثاني زيوس جالس على اليسار يحمل تايكي وصولجاناً، ونسر عند القدم اليسرى.

(4) (3) (2) (1) النقد رقم (1) جوليا دومنا، جابالا، تمثال نصفي لجوليا دومنا على الوجه الأول، وعلى الوجه الثاني كلمة جابالیّون ΓΑΒΑΕΛΩΝ وتمثال نصفي لأثينا داخل معبد.

النقد رقم (2) جوليا دومنا، جابالا، تمثال نصفي لجوليا دومنا على الوجه الأول، وعلى الوجه الثاني كلمة جابالیون ΓΑΒΑΕΛΩΝ، والآلهة عشتار برداء على رأسها تقف في الأمام وبين تمثالي سفينيكس.

النقد رقم (3) جوليا دومنا، جابالا، تمثال نصفي لجوليا دومنا على الوجه الأول، وعلى الوجه الثاني كلمة جابالیون ΓΑΒΑΕΛΩΝ وعشتار جالسة على اليسار تحمل سنابل قمح وصولجان، سفينيكس جالس عند قدميها على اليسار.

النقد رقم (4) جوليا دومنا، جابالا، تمثال نصفي لجوليا دومنا على الوجه الأول، وعلى الوجه الثاني كلمة جابالیون ΓΑΒΑΛΕΩΝ وعشتار جالسة ورداء على رأسها تجلس على اليسار وبيدها سنابل قمح وسفينيكس عند قدميها.

هذه العملات الثمانية للإمبراطور كراكلا، من جابالا، على جميع هذه العملات تمثال نصفي لكراكلا على وجه يرتدي درعاً. أمّا على الوجه الثاني:

على الوجه الثاني كلمة جابالیین ΓΑΒΑΛΕWИ والآلهة عشتار تجلس على عرش يعلوه طائر وسفينيكس، بالإضافة إلى سفينيكس عند القدمين إلى اليسار واليمين، بالإضافة إلى هلال ونجمة في الأعلى.

كل كلمة جابالیین ΓΑΒΑΛΕWИ وتايكي تقف على اليسار، تُمسك بيدها قرن الوفرة ودفّة.

أيضاً جابلیین ΓΑΒΑΛΕWИ وصورة للربّة عشتار تجلس على عرش يعلوه سفينيكس وطائر، وعند قدميها سفينيكس أيضاً إلى اليمين وإلى اليسار، وفي الأعلى هلال ونجمة.

تايكي على اليسار تحمل إكليلاً وغصن نخيل.

على الوجه الأول تمثال نصفي لكراكلا على رأسه تاجٌ مُشع مثل الإله هيليوس، وعلى الوجه الآخر تايكي وهي جالسة، تنظر إلى اليسار تحمل صولجاناً وكرة.

كلمة جابالیون ΓΑΒΑΛΕΩΝ،والآلهة أثينا تقف على يسار مذبح، تحمل تايكي، وتضع يدها اليمنى على درع، ورمحها على جانبها.

تترادراخما، عملة رباعية، جابالا 215– 217م تمثال نصفي لكراكلا مع درع وخوذة رأس من اليمين على الوجه الأول، وعلى الوجه الثاني نسر واقف على اليمين ورأسه باتجاه اليسار، وإكليل في منقاره وسرطان البحر والهلال عند مخالبه، وغصن نخيل منتصب في القسم الأيمن من هذا الوجه.

كاركلا، جابالا، تمثال نصفي له مع درعٍ على الوجه الأول، على الوجه الآخر معبد وتمثال نصفي لأثينا مرتدية خوذة في داخل مذبح.

أيضاً تمثال نصفي مغطّى بدرع على الوجه الأول، وعلى الوجه الثاني أثينا تقف على اليسار، وتحمل درع النصر والرمح، ومذبحٌ مُضاءٌ أمامها.

الامبراطور جيتّا، جابالا 209–212م، تمثال نصفي لجيتا وكلمة جابالیون ΓΑΒΑΛΕΩΝ على الوجه الأول، وعلى الوجه الثاني تمثال نصفي لأثينا ترتدي خوذة داخل معبد، نفس الوجه الخلفي لعملة جوليا دومنا.

الامبراطور جيتّا، جابالا 211– 212م، تمثال نصفي لجيتّا مكشوف الرأس ودرع على الوجه الأول، وعلى الوجه الثاني كلمة جابالیون ΓΑΒΑΛΕΩΝ وأحرف BCM وتمثال نصفي لأثينا ترتدي خوذة ومُثبّتة على قاعدة.

الامبراطور جيتّا، تؤرخ لسنة 245م، جابالا، تمثال نصفي لجيتّا مكشوف الرأس مع درع على الوجه الأول، وعلى الوجه الثاني كلمة جابالیون ΓΑΒΑΛΕΩΝ وأحرف ΑΓΑ على اليمين وعلى اليسار معبد جابالا ذي طرازٍ مُقسّم مع تمثالٍ نصفي لتايكي على قاعدةٍ داخلهُ.

الامبراطور جيتّا، جابالا 198– 209م، تمثال نصفي لجيتّا مع درع على الوجه الأول، وعلى الوجه الثاني أحرف SAE وتايكي جالسة على اليسار تحمِل صولجاناً وزهرة وسفينيكس عند قدميها.

الامبراطور ماكرينوس، جابالا 217– 218م، رأس الامبراطور على الوجه الأول، وعلى الوجه الثاني كلمة جابالیون ΓΑΒΑΛΕΩΝ على اليمين، وتايكي جالسة على اليسار وتُمسك بقرن الوفرة.

الامبراطور ماكرينوس، جابالا، رأس الامبراطور على الوجه الأول، وعلى الوجه الثاني كلمة جابالیون ΓΑΒΑΛΕΩΝ، والآلهة عشتار جالسة بمواجهة سفينيكس عند قدمها اليسرى واليُمنى.

الامبراطور ماكرينوس، درهم فضي رباعي، دار سك جابالا 217– 218م، تمثال نصفي للإمبراطور مع درع على الوجه الأول، وعلى الوجه الثاني يقف نسر رأسه وذيلهُ إلى اليسار، هلال فوق سرطان البحر بين مخلبيه، ونخلة في الحقل الأيمن.

الامبراطور ماكرينوس، جابالا، رأس الامبراطور مُكلّل بالغار على الوجه الأول، وعلى الوجه الثاني كلمة جابالیين ΓΑΒΑΛƐWИ وعشتار جالسة على عرش على اليسار، وتُمسِك بيدها صولجان، الهلال على اليسار في القسم الأعلى وسفينيكس.

عملة رباعية دراخما، جابالا 218م، دار سك العملة السورية، تمثال نصفي مُغطّى بدرع على الوجه الأول، وعلى الوجه الثاني نسر منتصب، رأسه وذيلهُ إلى اليسار، وسرطان البحر وهلال، وغصن نخيل مُنتصب في الحقل الأيمن.

الامبراطور إيلاجابالوس، جابالا، تمثال الامبراطور مُكلّل بالغار على الوجه الأول، وعلى الوجه الثاني كلمة جابا– ليون ΓΑΒΑ–ΛΕΩΝ، وتايكي تقف على اليسار وتحمل بيدها قرن الوفرة.